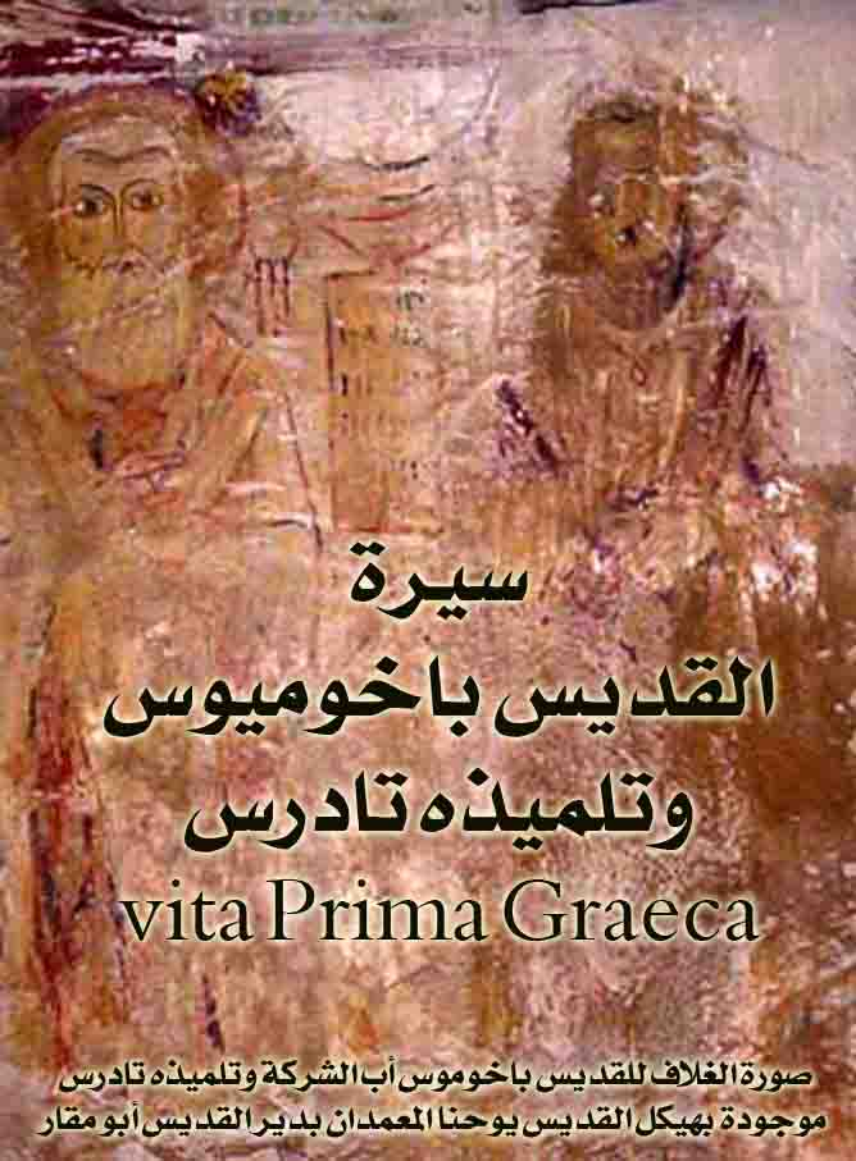

سيرة
القديس باخوميوس
وتلميذه تادرس
vita Prima Graeca

صورة الغلاف للقديس باخوموس أب الشركة وتلميذه تادرس
موجودة بهيكل القديس يوحنا المعمدان بدير القديس أبو مقار

سـيرة القديس باخوميوس

Vita Prima Graeca

(ج)

١- كلمة الله الحقيقى ، الخالق كل الأشياء ، الكلمة التى صارت إلى أبينا إبراهيم لكى يظهر له نعمته من جهة تقديم ابنه الوحيد ذبيحة . قال الرب : " إنى بالبركة أباركك وأكثر مثل نجوم السماء فى كثرتها ، وأيضاً : " لأنه فى نسلك يتبارك جميع أمم الأرض - (تك ٢٢ : ١٧ ، ١٨) . الذى بعد أن كلم أيضاً موسى خادمه وبقية الأنبياء ، ظهر (فى الجسد) إنساناً ، ومن زرع إبراهيم محققاً الوعد بالبركة لجميع الأمم ، إذ قال لتلاميذه : " امضوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " (مت ٢٨ : ١٩) .

ولما انتشرت البشارة بالإنجيل فى كل الأرض أثار الملوك الوثنيون بسماح من الله ولامتحان الإيمان - اضطهاداً عظيماً على المسيحيين فى كل مكان . ولأجل أن كثيرين من الشهداء مع بطرس رئيس أساقفة الإسكندرية بعد أنواع العذابات المتعددة تكللوا بموت ظافر ، تأصل الإيمان المسيحى بزيادة وتقوى فى كل الكنائس بكل كورة وجزيرة . وكان نتيجة ذلك أن نشأت الأديرة ومساكن

النُسّاك الذين تزيّنوا بالعفة والتجرد من ممتلكاتهم. والذين صاروا رهباناً - وقد كانوا من قبل وثنيين - حين رأوا جهادات الشهداء وصبرهم، بدأوا حياة جديدة، والذين عنهم قيل: "معتازين، مكروبين، مذلّين، تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض (عب ١١: ٣٧، ٣٨). وهكذا عاشوا في مواضع عزلتهم بتقوى صارقة ونسك صعب، واضعين أمام عيونهم ليلاً ونهاراً ليس فقط المسيح المصلوب، بل أيضاً الشهداء الذين كانوا قد عاينوا جهادهم الكثير.

٢- وسيرة أبينا أنطونيوس الفاضل بالحقيقة والعظيم في النُسّاك كانت مثل سيرة الكبير إيليا وإليشع ويوحنا المعمدان كما يشهد بذلك القديس العظيم أثناسيوس رئيس الأساقفة في الكتاب الذي كتبه عنه بعد موته، ويقرر فيه كذلك أن سيرة كل من أبينا القديس آمون رئيس جماعة الرهبان في جبل نتريا، ورفيقه تاودروس كانت مماثلة. ونعلم أن النعمة قد انسكبت من فم المبارك الذي يبارك الكل، لأنه افتقد الأرض وعوض الحزن والتنهّد أدْواها بالروح المفرح.

وفي جميع الكور كثيرون من بين الذين أتوا إلى الحياة الرهبانية صاروا آباء يُتعجب منهم، كما قيل من

قبل ، وأسماؤهم فى سفر الأحياء . وفى مصر وطيبة (الصعيد) لم يكن قد جاء بعد كثيرون (إلى الحياة الرهبانية) حتى زمان اضطهاد ديوقلديانوس ومكسيميانوس ، ولكن فيما بعد قام الأساقفة بهداية الشعب إلى الله بحسب تعاليم الرسل . وأثمرت التوبة ثمراً وافراً .

وكان إنسان يدعى باخوميوس ابناً لأبوين وثنيين من لهيبة . هذا حظى برحمة كثيرة فصار مسيحياً ؛ وإذ تقدّم (فى الحياة الروحيّة) صار راهباً كاملاً . ومن الواجب أن نشرح سيرته منذ طفوليته لأجل مجد الله الذى يدعو الجميع من كل موضع إلى نوره العجيب

٣ـ حدث أن مضى الصبى مرةً مع والديه إلى هيكل للأوثان ليقدموا ذبيحة لأشباح الأرواح الشريرة التى فى النهر . ولما رآه الكاهن الموكّل على الذبيحة أبعده وصاح هائجاً ، « ابعدوا من هنا عدو الآلهة » . فلما سمع والداه ذلك حزنا جداً لأجله ، لكونه عدو المزعوم بهم أنهم آلهة وهم ليسوا أبداً بآلهة ؛ وبالأكثر حين سقاه والداه مرةً من خمر التقدمة فى هذا المكان عينه فتقيأ الولد فى الحال ما شربه .

ومن بعد أن صار راهباً إذ كان يُحدِّث مرة الرهبان الذين حوله عن (أيام) لطفوليته قال : « لا تفتكروا

أن الشياطين الذين لا يعرفون الصلاح قد أبعدوني في ذلك الوقت لسابق علم منهم أنني سوف أحظى برحمة فيما بعد بقبول الإيمان الحقيقي . لكنهم لما رأوا أنني حتى في ذلك الوقت كنت كارهاً للشر - لأن الله خلق كل شيء مستقيماً - تيقنوا في نفوسهم أنني سوف أُقبل فيما بعد إلى عبادة الله لهذا أبعدني خدامهم.

٤ - ومن بعد الاضطهاد صار قسطنطين الكبير ملكاً ، وهو أول ملوك الرومان المسيحيين . وإذ كان يحارب ضد أحد الملوك المتمردين أمر بحشد كثيرين للجندية ، وأُخذ باخوميوس ضمناً وكان في سن العشرين تقريباً . وفيما هم يسيرون مع تيار النهر أحضر العساكر المؤكلون بهم السفينة إلى ميناء مدينة طيبة ، وهناك أدخلوهم إلى معسكر الحجز .

ولما سمع بهم بعض المسيحيين الرحومين آخر النهار أحضروا لهم طعاماً وشراباً وأشياء أخرى مما كانوا في حاجة إليها لأنهم كانوا في شدّة . ولما تقصّى الشاب عن ذلك قيل له إن المسيحيين دائماً يصنعون الرحمة لكل أحد بما في ذلك الغرباء. حينئذ تساءل « ومَنْ يكون المسيحيون ؟ » فأخبروه

قائلين : "هم الذين يحملون اسم المسيح ابن الله الوحيد، ويصنعون كل أنواع الصلاح لكل أحد واضعين رجاءهم على ذلك الذى خلق السماء والأرض وخلقنا نحن البشر"

٥ - وعندما سمع عن هذه النعمة الجزيلة التهب قلبه بالفرح وبخوف الله. ثم لجأ إلى مكان منفرد فى الحبس حيث بسط يديه إلى السماء وصلّى قائلاً: " يا الله خالق السماء والأرض، إذا نظرت إلى مذلّتى لكونى لم أعرفك أنت الإله الحقيقى وحدك، وإن خلصتنى من هذه الضيقة، سوف أخدم مشيئتك كل أيام حياتى، وأحب كل الناس وأخدمهم بحسب وصيتك ".

وبعد هذه الصلاة، أبحر مع الجنود، وكان رفقاؤه يضايقونه مراراً كثيرة فى المدن لسبب انصرافهم إلى المسرات العالمية وانحرافاتهم الأخرى، لكنه كان يباعد نفسه منهم لأنه تذكّر أن الله أظهر له نعمته، إذ كان قد أحب الطهارة كثيراً منذ طفولته.

ولمّا هزم قسطنطين أعداءه، وردت الأوامر الملكية بتسريح الجنود، فتوجه باخوميوس مباشرة إلى الصعيد الأعلى وجاء إلى قرية تدعى

« شينوبوسكيا » وزار كنيستها ، وهناك صار موعوظاً ثم تعمّد . وفى الليلة التى أُهّل فيها للسر رأى حلماً أن ندى السماء نازل عليه . ولمّا تجمّع الندى فى يده اليمنى تحوّل إلى قرص عسل ، وبدأ ينقط على الأرض ، وسمع مَن يقول له : " تأمّل فيما يحدث لأنه سوف يتحقق بعد زمان " .

٦- و إذ التهب قلبه بمحبة الله ، التمس أن يصير راهباً . واستدل على متوحد اسمه " بلامون " ، فقام ومضى إليه ليكون متوحداً برفقته . فلمّا وصل إلى المكان قرع الباب فتطلّع إليه الشيخ من فوق (من الكوّة) وقال له « ماذا تريد ؟ » . فقد كان الشيخ مقتضباً فى حديثه . فأجابه قائلاً : « أسألك يا أبى أن تجعلنى راهباً » . فقال له : « إنك لا تقدر ، لأن هذا العمل الإلهى ليس سهلاً . وكثيرون أتوا وما استطاعوا أن يصبروا » . فأجابه باخوميوس وقال : « جرّبنى فى هذا وانظر » . فقال له الشيخ : « جرّب نفسك أنت أولاً بعض الوقت ، ثم تعالَ هنا . لأن جهادى فى النسك شاق ، إذ أصوم فى الصيف النهار كله وفى الشتاء آكل دفعة واحدة كل يومين ، وبنعمة الله لا أتناول سوى الخبز والماء .

فلا أستعمل الزيت أو الخمر . أسهر نصف الليل - كما تعلمت - في الصلاة والهذيذ في كلام الله ، ورفوعاً كثيرة أسهر الليل كله " .

فلما سمع الشاب هذا من الشيخ تقوّت روحه بالأكثر لكي يصبر على كل صعوبة معه . وأجابه قائلاً : " إنني أومن أنني بمعونة الله وبصلواتكم أستطيع أن أصبر على كل ما قلته لي " .

عند ذلك فتح له الباب وأدخله . ثم ألبسه إسكيم الرهبنة ، وصارا يواظبان معاً على النسك والتفرُّغ للصلاة . وكان عملهما في غزل الشعر ونسج الأكياس الصوفية . وكانا يتعبان في عملهما ليس لأجل نفسيهما ، بل كانا يذكران الفقراء بحسب وصايا الرسول .

وكان في حال سهرهما متى رأى الشيخ أن النوم قد ثقل عليهما جداً كانا يخرجان معاً إلى الجبل . وهكذا كانا يحملان الرمل (في القفف) من موضع إلى آخر ليُتعبا الجسد ليظلا ساهرين في الصلاة . وكان الشيخ يقول (للتلميذ) : " تيقظ واسهر يا باخوميوس لئلا يجرّبك الشيطان ويخزك " . ولما رأى الشيخ طاعته في كل شيء ، وتقدّمه في الصبر ، ابتهج من أجل خلاصه .

٧- وفي يوم العيد بعد الفصح قال له (بلامون):
- إذ كان هذا اليوم عيداً مسيحياً، قم وأعدد لنا طعاماً. وفيما هو يعد، صب زيتاً على الملح. وقد كانت عادتهم كما قلنا أن يأكلوا أحياناً بعضاً من نبات الأرض بدون خل أو زيت، وأحياناً كثيرة كانوا يخلطون رماداً مع الملح. ودعاه باخوميوس ليأكل، فلما اقترب ليرى ما أعده وأبصر الزيت على الملح أخذ يضرب (بيديه) على وجهه وهو يبكي ويقول: "الرب قد صُلب، وأنا آكل زيتاً"! فتوسل إليه باخوميوس بخوف وبالجهد قبل أن يجلس ليأكل بعد أن أفرغ الزيت كما هي عادتهم.

وهكذا كان القديس بلامون دائماً الصليب، كقول المخلص، تابعاً إياه بقلب متضع.

٨ - حدث إذ كانا ساهرين ونارٌ تشتعل أمامهما، أن أحد الإخوة قد أتى ليمكث معهما فأخبر الشيخ قائلاً: "مَن فيكما له إيمان، فليقف على هذا الجمر ويتلو الصلاة التي في الإنجيل". فعرف الشيخ أن هذا كبرياء، فخاطبه موبخاً إياه قائلاً: "كُفَّ عن هذا الكلام لأنك قد ضللت".

فلم يحفل الأخ بكلامه، وخطا بقدميه فوق

الجمر وهو يتلو تلك الصلاة . ولمّا نزل من فوقه ورأى هذا الفعل الشيطانى ، وكيف بسماح إلهى لم تحترق قدماه ، تصلّف قلبه بالأكثر كما هو مكتوب : « الله يرسل لذوى الاعوجاج طرقاً معوجة » (أم ٢١ : ٨) . ثم مضى إلى مسكنه بعيداً عنهم .

ولمّا رأى الشيطان الذى أضلّه أنه صار تحت سطوته ، تشكّل بصورة إمرأة جميلة ومزينة جداً جاءت وقرعت بابه ، فلما فتح الباب أخبرته قائلة : « إذ قد ضايقنى مدايني الذين يتعقبونى لسبب عدم قدرتى أن أردّ مالهم ، أتوسل إليك أن تقبلنى فى مسكنك حتى ينصرفوا » . ولأجل انغلاق بصيرته لم يميّز هذا كله ، فسمح لها بالدخول ، وأصابه الشيطان بسهم الشهوة الشريرة وأماله إلى الخطية . ولمّا اقترب منها ليكمل قصده ألقاه الشيطان مصروعاً على الأرض . وبقى هناك على الأرض كالميت . وبعد أيام قليلة حين عاد إلى رشده قليلاً جاء إليهما باكياً مرتعداً وقال : « أنا هو السبب فى سقطتى لأنك نصحتنى كثيراً ولم أنصت إليك ، فعلى أى حال أعنّى فى شقائى لأنى فى خطر أن يهلكنى الشيطان » . وفيما هو يتكلم بهذا وهما يبكيان لأجله ، بغته الروح الشرير فقفز

خارجاً ومضى سائراً على الجبل مسافة طويلة وأخيراً وصل إلى مدينة تدعى بانوس . وبعد قليل وهو بعد تائه العقل ألقى نفسه فى تنور متوقد واحترق فيه .

٩- ولما رأى باخوميوس ذلك ازداد حرصه بالأكثر على تقدمه ، وكان يسهر على حراسة قلبه بكل يقظة كقول الكتاب (أم ٤: ٢٣) ؛ حتى أن الشيخ الصالح كان يعجب منه ، ليس من أجل احتماله جهاد النسك الخارجى الشاق باختياره فحسب ، بل ومن أجل غيرته الشديدة على نقاوة ضميره إلى الكمال الذى بحسب ناموس الله ، ذاكراً الرجاء العظيم المذخر فى السماء (كو ١: ٥) .

وإذ كان يبدأ بقراءة كلام الله ، أو تلاوته عن ظهر قلب ، ما كان يفعل ذلك كما هى عادة الكثيرين ، بل كان يجاهد أن يعى فى نفسه ويفهم معنى كل شئ بكل تواضع ووداعة وصدق كقول الرب : « تعلّموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب » .

١٠- وقد عَلِمنا هذه الأمور من الآباء القدامى الذين كانوا برفقته زماناً طويلاً ، لأنه كثيراً ما كان يحدّثهم عن هذه الأمور بعد قراءته فى الأسفار الالهية .

وليس بإمكاننا أن نكتب كل ما سمعناه منهم بل القليل منه فقط .

١١- كانت توجد حول ذلك الجبل صحراء مملوءة أشواكاً ، وكان باخوميوس يُرسَل مراراً ليجمع حطباً من هناك . وإذ كان حافى القدمين زماناً طويلاً ، كانت قدماه تؤلمانه ألماً شديداً من الأشواك التى كانت تنخزهما . أما هو فكان يحتمل ذلك متذكراً المسامير فى يدى وقدمى المخلص على الصليب . وكانت عادته أن يقف مصلياً فى الصحراء ويسأل الله أن يخلصه ، وكل أحد ، من خداع العدو ولهذا كان محبوباً جداً لدى الله .

١٢- وفيما كان يمشى فى تلك البريّة لمسافة طويلة جاء إلى قرية مهجورة تدعى « طبانيسين » وقام هناك ليصلى ، ومحبة الله تلهب قلبه . وبعد أن أطال الصلاة أتاه صوت - ولم يكن قد صار له رؤى حتى ذلك الزمان - قائلاً « امكث هنا وابنِ ديراً ، فإن كثيرين سيأتون إليك ليصيروا رهباناً » .

فلما سمع ذلك وتميّز بطهارة القلب كحسب

الأسفار - أنه صوت مقدس ، عاد إلى أبيه وأعلمه بذلك ، الذى حزن جداً إذ كان يعامله (ويعتبره) كابنه الخاص ، وبعد إقناع كثير انتقلا كلاهما إلى ذلك المكان . وابتنوا هناك مسكناً صغيراً (أى) ديراً صغيراً .

ثم قال له الشيخ القديس : « كأنى أومن أن هذا صار إليك من الله ، لنصنع عهداً فيما بيننا أننا منذ الآن لا نفترق أحدنا عن الآخر ، بل نتبادل الزيارة فيما بيننا مرة بعد مرّة » . وهكذا كانا يفعلان لمدة حياة ناسك المسيح الحقيقى بلامون .

١٣ - ومن بعد زمان مرض القديس بلامون بطحاله لكونه أجهد نفسه بالنسك فوق قوته . وامتدّ الألم إلى جسمه كله . فقد كان مدفوعاً كثيرة يأكل ولا يشرب ماءً وأحياناً يشرب ولا يأكل . وبعد أن نصحه الطبيب وبعض الإخوة أن يهتم بنفسه لكى يشفى ، اقتنع أن يأكل الأطعمة الموافقة لمرضه بعض الأيام . ولما تحقق أن الألم مازال يلازمه امتنع عنها قائلاً : « إذا كان الشهداء لإيمانهم ومحبتهم للمسيح صبروا على تقطيع أطرافهم حتى الموت وقُطعت رؤوسهم وأُحرقوا ، فهل أتزعج أنا وأستسلم لقليل

من الألم ؟ ومع أنى أضطُررت لأكل الطعام الذى كان يُظن أنه يعود علىّ بالشفاء ، لم يأتِ بفائدة ، لهذا إذا أنا عدت إلى جهاد النسك الذى فيه توجد الراحة من كل شئ فسوف أُشفى " .

وهكذا عاود نسكه الأول بشجاعة ، وبعد شهر اشتدّ به المرض . وجاء باخوميوس من لمبانيسين ليفتقده ، وبقى عند الأب يعتنى به باهتمام إلى أن افتقده الله . وبعد أن دفنه أبونا باخوميوس عاد إلى موضع جهاده .

١٤ - وسمع عن القديس باخوميوس أخوه بالجسد وكان يدعى يوحنا فأتى إليه ، ففرح جداً لرؤيته لكونه لم يكن قد افتقد أهله منذ أن توجه إلى الجبل بعد تسريحه من الجيش .

واختار يوحنا أيضاً السيرة عينها وأقام معه ، وكانا لا يمتلكان شيئاً سوى ناموس الله . وإذا تحصلا على شئ من عمل أيديهما أعطوا معظمه للمحتاجين ، وأبقيا لهما ما هو ضرورى لمعيشتهما . وكانت لهما ملابس قليلة جداً حتى أنه لم يكن لهما ما يتشحان به حين يغسلان الذى يلبسانه . أما أبونا باخوميوس فكثيراً ما كان يلبس ثوباً من شعر

خشن لكى يذلّل جسده. وإلى زمان طويل - وبالتحديد حوالى خمس عشرة سنة ، كان إذا ما أراد أن يعطى جسده راحة وينام بعد نصف الليل كان يفعل ذلك وهو جالس على أى شئ كان وسط القلاية دون أن يسند ظهره إلى حائط .

وكثير من الآباء القدامى لما سمعوا ذلك وبالحرى رأوه ، جاهدوا أن يصنعوا مثله أو ما أشبه ذلك من إماتات الجسد لكى يقتنوا خلاص نفوسهم ، وجاهدوا كثيراً فى مرضاة الله. وفيما بعد صنعوا لهم كراسى (للاستراحة عليها) ، لأن كل واحد منهم كان يداوم جهاده بإيمان على قدر إمكانه .

١٥- وإذ تذكّر مواعيد الله ، بدأ مع أخيه فى توسيع الدير حتى يمكن أن يقبل القادمين إلى هذه السيرة . وفيما هما يبنيانه كان فى نيّة باخوميوس أن يجعله متسعاً ، بينما كان أخوه بحسب فكرته الخاصة من جهة حياة النسك ، كان يرى أن يجعله ضيقاً .

وحدث مرّة أن يوحنا وهو الأصغر بحسب المولد - غضب عليه وقال له : " كفاك اتساعاً ".

فلم يناقض كلام أخيه بالمرة ، بل إذ سمعه شعر أنه يحضّه على الصلاح . وإذ ضبط قلبه نزل في الليلة التالية إلى المغارة وبدأ يبكي بمرارة . وكان يصلّي قائلاً : « يا الله ، إن اهتمام الجسد مازال فيّ ، فما زلت أحيا حسب الجسد ، ويحي فإني سوف أموت كالمكتوب (رو ٨ : ١٣) . برغم الجهاد الكثير واستعداد القلب مازال يمتلكني الغضب حتى ولو من أجل ما هو صالح . ارحمني يارب لئلا أهلك ، لأن العدو إن وجد له فيّ موضعاً ولو صغيراً ولم تدركني معونتك صرت من نصيبه . لأنه متى حفظ الانسان جميع نواميسك وزلّ في واحدة يصير مُدانا في الكل . ولكني أومن أنه متى أعانتني كثرة مراحمك ، حينئذ أتعلم السلوك في طريق القديسين ممتداً إلى مَنْ تقدموني ، لأنهم بمعونتك تقووا على العدو. وكيف يارب أعلّم الذين تدعوهم ليختاروا هذه السيرة معي مالم أكن أولاً قد صرت غالباً ».

١٦ - وبعدما صلّى هكذا أمضى الليل كله باكياً مردداً الصلوات عينها حتى مطلع النهار . ومن كثرة عرقه - لأن الوقت كان صيفاً والمكان حارجداً - صار ما تحت قدميه لهيتاً .

وقد كانت عادته أيضاً فى صلاته أن يبسط ذراعيه ولا يردهما إلى وضع مريح بل يثبتهما ممدودتين كما لو كانتا على الصليب لكى يغصب جسده أن يتعب ويظل ساهراً فى الصلاة.

١٧- وقد احتمل تجارب كثيرة من الشياطين متعلماً من الكتب الإلهية وبالأخص من الإنجيل. أما جهادات القديسين فلم يدوّن غير جزء قليل منها، لأن الأسفار الإلهية أظهرت طريق الحياة الأبدية بكلام موجز. فالناموس الذى صار إلى أبينا إبراهيم أُجمل فى عبارة واحدة: "سِرْ أمامى وكن كاملاً".

ولكننا لكوننا الأطفال يكسر لهم آباؤهم الخبز، صرنا محتاجين كما هو مكتوب: "أن نشرب مياهاً مأمونة" (إش ٣٣: ١٦). ومن ثم يجب "ألّا نُخفى عن الجيل الآخر الأمور التى سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا عنها" (مزمور ٧٧: ٣).

لأننا نعرف كما تعلّمنا أن كلمات المزمور هذه، والعجائب التى افتقد بها الله موسى والذين جاءوا بعده، صارت علامات لنا، ومنها عرفنا أن آباء زماننا هذا هم أولادهم والمقتفون لآثارهم. ولكى يصير معروفاً لدينا وعند الأجيال المقبلة حتى نهاية الدهور

أن يسوع المسيح "هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"
(عب ١٣ : ٨) .

١٨- أما التجارب المتنوعة التى جُرِّب بها واحتملها ، فكانت بسماح من الله لتزكيته ، من أجل منفعته ومنفعة الآخرين أيضاً . فقد كان قبل أن تتأسس الشركة معتاداً أن يعتكف ويكرّس وقته ليحفظ نقاوة القلب ، هذا فضلاً عن بقية التطويبات الأخرى. فكان يجاهد الا يدع الأفكار النجسة تستقر فى قلبه. إذ أنه كان يقتنى فى قلبه خوف الله دائماً ، متذكراً المجازاة وعذابات النار الأبدية . فكان قلبه اليقظ كباب من نحاس فى مأمن من اللصوص .

فلما رأى الرب اهتمامه العظيم باقتناء مخافة الله ، وهبه لطلبة آبائه التى لطلبها واحد من بينهم قائلاً : " ليصر قلبى بلا عيب فى فرائضك لكى لا أخزى " (مزمور ١١٨ : ٨٠) .

ولمّا عاينت الشياطين ذلك حسدوه وأرادوا أن يسقطوه ، ولهذا أخذوا فى مناصبته جهاراً . إذ حدث فى بعض الأحيان فيما هو يصلّى ويهمّ ليسجد كانوا يجعلون الموضع أمامه يظهر كهيئة جُب لكى يبطل سجوده بسبب الخوف ، أما هو فإذ عرف خداع

مجربيه كان يسجد بإيمان ويخزيهم بتمجيده لله. وأوقاتاً أخرى كانوا يأتون قدامه ثم يصطفون عن جانبيه من هنا وهناك وكأنهم في استقبال رئيس كبير، قائلين بعضهم لبعضٍ: "افسحوا المكان لرجل الله". أما هو فبرجائه في الرب كان يضحك عليهم مزدرياً بتفاهتهم.

١٩- ثم حاولوا أن يهزّوا أساسات منشوبته (أى مسكنه) ويخيفوه بأنه سوف يقع عليه، أمّا هو فبدأ يتلو مقابلهم المزمور: "إلهنا ملجأنا وقوّتنا ومعينتنا في شدائدنا التي أصابتنا جداً، لذلك لا نخشى إذا تزعزعت الأرض" (مز ٤٥: ١-٢).

ومرة أخرى بينما كان جالساً يعمل وافاه الشيطان ليجرّبه بطريقة أخرى، إذ اتخذ شكل ديك وصوّت صائحاً في وجهه. ومرّة أحضر الشياطين ورقة شجر وربطوها بإحكام بحبال غليظة ووقفوا ينادون بعضهم بعضاً كما لو كانوا سوف يجرّون حجراً عظيماً؛ لكي ينحل باخوميوس بقلبه ويجعلوه يضحك وبذلك يستولون على (قلبه). فلما رآهم تنهّد مقابلهم، وإذ لم يُعِرْهم التفاته غابوا عنه.

وكانوا - إذا جلس ليأكل - يأتون إليه في شكل

نساء عراة ليجلسوا ويأكلوا معه. أما هو فكان يغمض عيني عقله فيختفي العدو دون أن ينال منه شيئاً. لأن الرب كان يحفظه كقوله لكل من يتقيه: "لا تخف لأني معك" (تك ٢٦: ٢٤).

٢- ويجرَّب بأنواع أخرى كثيرة وقاسية. فمثلاً كان يُضْرَب من الشياطين ضرباً محسوساً، فيظل متألماً بجسده من المساء إلى الصباح، ولم يكن له من عزاء سوى تذكره أن الله هو الذي يدربه وأنه لأجل هذا يجعله ينضغط ويتشدد.

وهنا جاءه راهب قديم يدعى "هيراكابوللون" ليفتقده، وبعد أن سلّم عليه باخوميوس، بدأ هو يحدّثه عن نفسه قائلاً: "تشجع، فإن الشيطان يعرف أنه إذا تملّك عليك الإهمال، فإنه يتسلط علينا نحن أيضاً الذين اتخذناك لنا قدوة. لهذا اصطبر لئلا تنغلب فتصير مطالباً بدمائنا". فلما سمع باخوميوس منه هذا الكلام تشجّع بالأكثر. واتفقا أن لا يفترقا أبداً. وبعد مدّة من الزمان أكمل ذلك الراهب سعيه حسناً ورقد وسط الجماعة حسب تدبير الرب.

٢١- وقبل أن يقتنى من الرب معرفة كاملة، كان ذا إيمان صادق حقاً، حتى أنه كان يطأ الحيات والعقارب، ويعبر مياه النهر وسلطت الحيوانات المتوحشة بجرأة وبلاخوف، دون أن تصيبه بأذى. لأنه كان يفعل ذلك باستقامة قلبه ولم يكن قد أدرك بعد كمال المعرفة فكان الرب يراقبه قاصداً أن يعلّمه فيما بعد ماذا يجب أن يعمل.

ومع أن موسى حين رأى عصاة متحوّلة إلى حيّة خاف أمامها، وذلك لأن الرب لم يكن قد أمره بعد أن يمسك بالحية. ثم تحوّلت الحيّة مرة أخرى إلى عصاة فى يده؛ فمن قبل أن يمنح الله سلطاناً للقديسين تظل المفزعات مفزعات، والمستحيلات لدى الانسان مستحيلات (لو١٨: ٢٧). فلما تعرّف باخوميوس على جهله وصار حزيناً على ذلك، صلى قائلاً: «يارب أنت مرشد العميان، أشكرك لأنك حتى فى هذه تغاضيت عن أخطائى بتنازلك إلى فى جهلى حتى تعلمنى إرادتك الكاملة.

٢٢- وأمضى زماناً طويلاً مقاتلاً الشياطين كمجاهد الحق مثل الطوباوى أنطونيوس. ولهذا طلب إلى الرب أن يُبعد عنه النوم، لكى إذ يظل متيقظاً نهاراً

وليلا يمكنه أن يغلب العدو كالمكتوب : " ولا أرجع حتى أفنيهم " (مز ١٧ : ٣٧) ، لأنهم أمام الإيمان بالرب تبيد قوتهم . وقد منحه الرب ما لطلبه مدة كافية من الزمان . وكان بنقاوة قلبه كمن يرى الله - الذى لا يرى - كما فى مرآة (مت ٥ : ٨) .

٢٣ - ثم بعد هذا إذ كان مع بعض الإخوة فى جزيرة يقطعون الحلفاء لعمل السلال ، وفيما كان ساهراً وحده مصلياً يطلب أن يتعلم إرادة الله الكاملة ، ظهر له ملاك من عند الرب - كالذى ظهر لمنوح وزوجته قبل ولادة شمشون (قض ١٣ : ٢) - وقال له : " إن إرادة الله هى أن تخدم جنس البشر وتصالحهم معه " . وأعاد الملاك هذا الكلام ثلاثة مرات ثم مضى عنه .

٢٤ - ولما تفكر فى هذا الصوت الذى سمعه وتحقق معناه بدأ يقبل كل القادمين إليه ، وبعد أن يختبر استحقاقهم ويستفسر عن أهلهم ، كان يلبسهم اسكيم الرهبنة ويقودهم إلى السيرة الروحية قليلاً قليلاً . فأولاً ترك العالم فيما يختص بأهلهم وذواتهم ؛ واتباع المخلص الذى علّم هكذا .

لأن هذا هو ما يعنيه حمل الصليب (لو١٤: ٢٧) .

أما هم فإذ كانوا يتعلمون منه حسناً وبحسب الوصايا ، كانوا يثمرون أثماراً تليق بدعوتهم (أف ٤: ١) ، وكانوا يتعجبون منه جداً إذ رأوه يجاهد ليس فقط فى احتمال الأتعاب الجسدانية بل وفى اضطلاعه شخصياً بكل اهتمامات الدير تقريباً - فقد كان يعدّ لهم المائدة وقت الطعام ، كما كان يزرع لهم الخضروات ويسقيها . كذلك كان يجيب بنفسه على كل من يقرع الباب ، وإذا مرض أحدهم كان يهتم به بنفسه ويقوم على خدمته أثناء الليل .

فالإخوة الجدد إذ لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى هذا المقدار من الغيرة على بعضهم البعض ، كان يجعلهم بلوهم فى كل شئ قائلاً : " أيها الإخوة جاهدوا لتدركوا غاية دعوتكم بتلاوة المزامير والقصول التى من الأسفار الأخرى - وبالأخص من الإنجيل ، أمّا أنا فأجد راحتى فى خدمة الله وخدمتكم كوصية الله ".

٢٥ - (وكان بعضهم) واسم الأول " بسنتاسيس " والثانى " سوروس " والثالث بصويس ، ينفعهم بوعظه بكلام الله ويقودهم إلى الغيرة فى الأعمال

الصالحة لأنهم رأوا أنه حتى فى صمته لم يكن عمله أقل نفعاً من كلامه . فكانوا يتعجبون ويقولون بعضهم لبعض :

« كنا نظن أن جميع القديسين جبلهم الله هكذا من بطون أماتهم قديسين غير قابلين للتغيير ، وبلا إرادة حرة ؛ وأن الخطاة لا يستطيعون أن يحيوا لأنهم جُبلوا هكذا . والآن ها نحن نرى صلاح الله ظاهراً على أبينا هنا ، فهو برغم كونه قد وُلد لأبوين وثنيين إلا أنه أتى إلى تقوى عظيمة متسربلاً بوصايا الله . ولهذا فنحن أيضاً يمكننا أن نتبعه مع الآخرين جميعاً للأسباب عينها التى من أجلها يتبع هو أثر القديسين . وهذا هو إذن معنى الكلام : « تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » . فلنحيا اذاً ونموت جميعاً مع هذا الرجل لأنه يقودنا باستقامة نحو الله » .

ثم قالوا له : « لماذا تتعب وحدك يا أبانا فى كل شئ من أعمال الدير » ؛ أجابهم قائلاً : « مَنْ يشدّ بهيمة إلى المحراث ويتغاضى عنها حتى تسقط ؟ إن الله الرحوم إذ يرى عوزى فهو يقويكم ، أو يرسل آخرين يكونون قادرين أن يساعدونى فى الاهتمام بالدير » . لأن (ديرهم) كان كنوبيون (أى شركة) ، وكان قد

قنن لهم رسوماً لا عيب فيها وتقاليد مفيدة للنفوس بحسب الكتب الإلهية . ورتّب أن تكون ملابسهم باعتدال وطعامهم بمساواة ونومهم بحسن نظام .

٢٦ - ورعا الرب كثيرين ، وهكذا جاء آخرون ليعيشوا حياة النسك معه : بيكيسيوس ، كورنيليوس ، باقلوس ، وباخوميوس آخر ويوحنا ؛ وكانوا جميعاً قد سمعوا بحسن إيمانه القويم .

وبعد أيام قليلة جاءه تاودروس صبيّاً في الرابعة عشر من عمره ، وصار له ابناً حقيقياً مماثلاً له في كل شئ . ثم أنه أسند إلى الأقوياء منهم أعمال الدير الظاهرة ، وزاد عدد الإخوة حتى بلغ المئة .

٢٧ - وحين كانت الحاجة تدعو إلى " الابروسفورا " (أي خدمة القداس الإلهي) كان يستدعي قسيساً من الكنائس القريبة منهم وهكذا يصلي لهم العيد ، إذ لم يكن بينهم من هو في رتبة الكهنوت .

وكان يحدثهم عن هذا الأمر مراراً كثيرة بقوله لهم : " ليس من الصالح أن تُطلب الرئاسة والكرامة وخصوصاً في الكنوبيون (الشركة) حتى لا يكون ذلك

سبباً فى حدوث النزاع والغيرة والحسد بين رهبان كثيرين ؛ فكما أن شرارة النار - وهى فى أوائلها صغيرة جداً - إذا ألقيت فى بيدرٍ ولم تطفأ سريعاً فإنها تهلك أتعاب السنة كلها ، هكذا درجة الكهنوت هى فاتحة شهوة محبة الرئاسة .

فالأفضل لنا أن نخضع لكنيسة الله بوداعة ، فمتى وجدنا كاهناً مقاماً من آبائنا الأساقفة ، فلندعه يقوم لنا بخدمات الكهنوت لأنه حتى فى القديم لم يكن جميع الشعب لاويين . أما إذا أقيم أى راهب من موضع آخر كاهناً ، ما يجب علينا - معاذ الله - أن ننظر إليه باحتقار كمن قد اشتهى الرئاسة ، وخصوصاً إذا لم يكن راغباً فى ذلك ، بل نعتبره أباً مطيعاً متشبهاً بالقديسين ، هذا إذا أكمل الخدمة بلا عيب . وبالمثل أيضاً إذا أتى أحدٌ ما يُعيبه كما يفعل بعض الناس فلا ندينه ، لأن الله وحده هو الديّان . وعلى أى حال فقد رتّب خلفاء الرسل قضاة يحكمون بالروح حكماً عادلاً . أما نحن عامة الشعب فخليق بنا أن نكون عطوفين رحومين نحو بعضنا البعض " .

هذا وكان إذا جاء إليه أحد الإكليروس ليصير راهباً كان يخضع للطقس المرتب بحسب ناموس الله ، وكالباقين جميعاً كان يسلك بطيب قلب بحسب

القوانين المرتبة للإخوة .

٢٨ - وكان متى رأى شيوخاً أو أناساً مرضى الأجساد أو أولاداً ، كانت تأخذه الشفقة عليهم ويهتم بنفوسهم فى كل شئ .

كما كان القديس يفرح ويُسرّ بمن يتقدم فى الفضيلة ويزداد فى الإيمان ، لأنهم كانوا يجدّون فى عمل كل ما هو صالح بغيرة عظيمة .

وقد رتب البعض ليساعدوه فى العناية بالنفوس . ومن بين هؤلاء عيّن مدبراً يهتم بكل الاحتياجات الجسدية فى الدير ، وثانياً له لكى يساعده فى العمل . وعيّن لكل موضع مدبّرين ومساعدين لهم . الموضع الأول حيث المدبّرون والمساعدون يرتبون المائدة ، ويعدّون الطعام . لأنه كان هناك جماعات كثيرة مختلفة من الإخوة . أمّا مَنْ أراد أن يتنسّك فكانت تترك له الحرية فى ذلك بلا مانع .

كما رتّب بيتاً ومديرين عهد إليهم الاهتمام براحة جميع الإخوة المرضى بكل عناية صادقة حسب القوانين ، وألحق بهم مسئولاً ومساعداً له للغرض عينه .

وأوكل البوابة إلى إخوة أتقياء ورعين

محبين للغرباء ليستقبلوا الذين يقصدونهم ، وكانوا يستقبلون الراغبين فى الرهبنة وينصحونهم فيما هو للخلاص ، إلى أن يُلبسهم الإسكيم .

كذلك عيّن آخرين أتقياء محتشمين ليقوموا بأعمال البيع وشراء احتياجات الإخوة .

وبالإضافة إلى الخدمة التى سبق ذكرها التى يقوم بها مدبرو المواضع (البيوت) ، كان كل مدبّر لأحد المواضع يُعهد إليه بتغيير المعيّنين لخدمة الإخوة كل ثلاثة أسابيع ويُعينهم فى خدمة أخرى ، حتى يمكنهم أن يقوموا ببعض العمل اليدوى المعطى لهم بواسطة مدبّر المواضع حسبما يرى المدبّر الكبير أى أب الدير . كما رتّبت بيوت أخرى بمديريها ومساعديهم لمباشرة الصنائع وعمل الحصر ، على أن يكونوا مذعنين طائعين فى كل شئ ، وليست لهم فى قلوبهم شهوة خاصة ، لكى يكونوا متمرنين فى عملهم لله .

ومتى تغيب أب الدير كان مساعده يأخذ مكانه بسلطة كاملة حتى يعود ، وذلك بلا عُجب أو تفاخر بل باتضاع ووداعة لأجل بنيان الإخوة . وكان هذا الترتيب أيضاً يُطبق على مدبّرى البيوت ومساعديهم .

ومدبّر الدير كان مسئولاً عن التعليم ثلاث مرات

أسبوعياً : مرة كل سبت ومرتين فى الآحاد . ومديرو البيوت كانوا يفعلون ذلك أيضاً خلال الصومين .

٢٩- وقد اهتم أبونا الكبير باخوميوس وأخذته الغيرة أن يبنى كنيسة فى قرية مهجورة للرعاة الذين بالمناطق المحيطة بها وكانوا أناساً عاميين ، لكى يجتمعوا فيها فى السبوت والآحاد لسماع كلمة الله . وقد فعل ذلك ليس من نفسه بل برأى « سرابيون » أسقف كنيسة دندرة . وكان يذهب مع الإخوة ويقرأ لهم وقت الاجتماع ، لأنه لم يكن هناك قارئ ، ويهتم بحاجاتهم وحاجات الغرباء القادمين ، وذلك إلى أن أقيم لهم كاهن .

وعندما كان يقرأ لهم بنفسه ، كانت له معرفة وتقوى ، وكانت نظراته مهتدية ، وحسن إلقائه متناغماً مع معانى الكلمات ، حتى أن هؤلاء العلمانيين حين رأوا رجل الله هذا بينهم ، كانوا جميعهم غالباً ما ينعطفون لقبول الإيمان ويصيرون مسيحيين لأنه كان رحوماً للغاية ومحباً لنفوسهم . وكثيراً ما كان يبكى أوقاتاً طويلة وحده ، عندما يرى أناساً لا يعرفون إلههم وخالقهم ، كأنه كان يشتهى إن كان ممكناً أن يخلص الجميع .

٣٠ـ وحدث أن رئيس أساقفة الإسكندرية الطوباوى أثناسيوس ، إذ كان وقتئذ قد تقلد الرئاسة الأسقفية ، أراد أن يمضى إلى الصعيد الأعلى حتى إلى "سينيس" (= أسوان) ليثبت كنائس الله .

وفيما كان يعبر على طبانيسين خرج باخوميوس والإخوة ليستقبلوه مسبحين ومرتلين بالمزامير، وكان حوله جمع غفير من الناس ممجدين الله لحضوره . وكان أسقف دندرة السابق ذكره قد تقدّم إلى البابا أثناسيوس يقول له : « إن بين رهبان منطقتى يوجد أب وهو رجل الله أريد أن ترسمه أباً وقساً على كل رهبان المنطقة . فلما سمع باخوميوس ذلك اختفى من البابا وسط الإخوة حتى مضى .

على أن البابا حين تطلّع إليه من الموكب عرف فيه خادم الله وإنساناً "قديساً"، وبالأكثر إذ كان قد سمع عن التجارب المتنوعة التى احتملها من أجل الإنجيل و الإيمان الصادق والذى من أجله احتمل الآلام أيضاً فيما بعد .

٣١ـ وكان يمقت المدعو أوريجانوس ، ليس لأنه أُقصىّ من البيعة قبل آريوس وملوتيوس اللذين شاركاه فى التجديف على كنيسة المسيح ، بل لأنه كان قد سمع

عن المصنفات الربيئة التى كتبها ضمن أعماله ، فكان يعتبره مجدفاً ومتجاسراً بالنسبة لحياته الخاصة ، مزج كلامه الملق الذى يبدو مقنعاً بأقوال الكتب الإلهية المستقيمة لهلاك غير العارفين كمن يمزج السم بالعسل . ولهذا أوصى الإخوة كثيراً ألا يقرأوا كلامه ولا يصغوا لسماعها . وحدث مرة أنه وجد أحد كتبه فألقاه فى الماء وأتلفه وهو يقول : « لو لم يكن اسم الرب قد جاء فى هذا الكتاب لكنت قد أحرقته بكلامه الفارغ المملوء تجديفاً » .

وكان القديس أثناسيوس يعاين المخلص جالساً على عرش فى الكنيسة مثلما كان يراه القديس بطرس الأسقف الشهيد فى الكنيسة عينها . وقد علمنا ذلك من الأساقفة الأرثوذكس الذين خلفوا أثناسيوس . ونحن نتمسك بما هو موضوع أمامنا .

وكان أبونا باخوميوس يحرص كل الحرص أن يحفظ قلبه من الأفكار الشريرة ، وما كان يحتمل أن يسمح أحداً يتكلم ضد واحدٍ من الآباء . فكان يهرب من مثل هذه الأمور كالذى يهرب من الحيّة وكان يوبّخ ويزجر من يحاول ذلك ، بتذكيرهم بمريم أخت موسى قائلاً : « الرجل الصالح لا ينطق بكلمة رديئة بأى حال ، وبالأخص ضد الآباء

القديسين ". وهكذا صار نافعاً لكل من يقابله حتى أن كل من رآه كان لا يريد أن يمضي من حضرته.

٣٢- ولما سمعت أخت أبينا الكبير باخوميوس أخباره أتت لتراه، فأرسل إليها مع الأخ الموكل بباب الدير يقول لها: " هوذا قد علمتِ أنني حي فلا تحزني لأنكِ لم ترينى ؛ ولكن إن شئتِ أنتِ أيضاً أن تشاركي في هذه السيرة المقدسة لكي تجدي رحمة الله فكّري في الأمر والإخوة يصلحون لكِ مسكناً تقيمين فيه لعل الرب يدعو نساءً أخريات يقمن معكِ. لأن الإنسان ليس له رجاء في هذا العالم مالم يصنع الصلاح قبل أن يرحل من جسده إلى الموضع الذي يحاسب فيه، وينال حسب أعماله" (رو٢: ٦).

فلما سمعت هذا الكلام بكت وانسحق قلبها وتحول إلى لطف الخلاص. وهكذا أقيم دير في القرية على مسافة من دير الإخوة. وسارت في النسك بغيرة ومعها أخوات أخريات. ولما زاد عددهن صارت لهن أُمّاً.

ثم رتّب لهن أبونا باخوميوس أخاً متقدماً في السن يُدعى بطرس ليفتقدهن. وكان كلامه مصلحاً مملحاً، هادئاً في فكره ونظرته. وكثيراً ماكان يقف ويعظهن

بكلام الخلاص من الكتب المقدسة . وكتب باخوميوس قوانين دير الإخوة وأرسلها للأخوات عن يد الشيخ بطرس لكيما يدبّرن نفوسهن بموجبها .

وكان إن اشتاق أحد الإخوة من الذين لم يصلوا بعد إلى الكمال أن يزور إحدى قريباته يرسله بواسطة مدبّر البيت إلى بطرس الشيخ وبعد مشاورة أمّ الدير كانت تتم الزيارة للقريبة فى حضرة أختٍ أخرى تقيّة بلياقة وتحفّظ شديد مع إغفال قرابة الجسد . ولا يُحضر الأخ لقريبته شيئاً ، إذ أنه لا يملك شيئاً . كما لا يأخذ منها شيئاً . فرجاء وتذكار الخيرات الأبدية العتيدة كان كفايتهم (عب ١٠ : ١) .

ومتى كانت هناك حاجة للبناء أو لأى عمل ضرورى كان (القديس باخوميوس) يختار رجلاً حكيماً تقياً مع آخرين مثله ويرسلهم للعمل هناك ، وعند موعد الطعام كانوا يعودون إلى الدير .

وإذا ما انتقلت إحدى الأخوات كانت الأمهات يقمن بعمل الكفن للجسد ليدثرنه به . ثم يجتمع الإخوة المعينون ويقفون فى هدوء تحت الرواق بينما الأخوات يقفن بعيداً عنهم على الجانب الآخر يرتلون إلى أن يحين وقت الدفن فيمضون إلى الجبل بأكثر هدوء بينما الأخوات أنفسهن يرتلن وراء العربة . وأبوهن

لا يتوقف عن الصلاة حتى يرجعن إلى الدير تملأهن مخافة الله . وأحياناً كانت تدفن المتوفاة في مدافن الدير.

وزاد عدد النساء حتى بلغ الأربعمئة . وفيما خلا الوشاح كانت لهن الأنظمة عينها التي للدير الكبير.

وهذا ما حدث مرّة في دير النساء : ذلك أن خيّاطاً ليس له علاقة بالرهبنة مرّ على الدير عن جهل منه يطلب عملاً . واتفق أن إحدى العذارى الصغيرات خرجت لقضاء حاجة شخصية لها. إذ كان الموضع قفراً . فصادفته دون قصد منها وقالت له : « نحن لنا خياطون خصوصيون ». ورأتها أخت أخرى في هذا اللقاء . وحدث بعد زمان أن تخاصمتا بمكيدة من الشيطان ، وبغيظ زائد وشر كثير وشت بها تلك الأخت لدى الأخوات بما حدث . وبعض الإخوات وإن لم يكن شريرات مثلها قبلن وشايتها .

أما الأخت فقد أحزنها جداً أن ينالها الاتهام من أجل ما لم يكن قد خطر على فكرها قط ، وإذ لم تحتمل هذا الأمر مضت إلى النهر سرّاً وألقت نفسها فيه وهكذا أنهت حياتها . وأما الأخت التي وشت بها فحين تابت إلى رشدها ورأت أنها وشت بالشر وجلبت هذه المحنة على الأخوات لم تحتمل

الموقف فضت وخنقت نفسها .

وأعلنت بقية الأخوات هذه الأمور للدير الكبير، فأمر باخوميوس بأن لا تشترك واحدة منهن فى إعداد القربان ، أما الباقيات فلأنهن كن يعلمن ولكنهنّ أهملن فحص الوشاية والإتهامات الكاذبة إلى درجة أنهنّ صدّقن كلامها ، فأمر بمنعهنّ من الشركة سبع سنوات .

٣٣ - إذ أن فى هذا منفعة للجميع ينبغى أن نتحدث عن تاودروس الابن الحقيقى للقديس باخوميوس السابق ذكره ، الذى كان مسيحياً منذ فجر حياته وكان أبواه أيضاً مسيحيين . ويبدو أن تادرس هذا كان فى تقدم عظيم فلم يكن (شخصاً) عادياً ، إذ أنه منتصباه لم يكن غير ظاهر فى قطيع المسيح بل شهيراً .

حدث فى العاشر من ديسمبر حيث كان يوم عيد للمسيحيين رأى تادرس أن منزله ذات أبّهة بالمفهوم العالمى ومزدهراً بالخيرات الأرضية ، فانفعل فى قلبه بإحساس إلهى وتفكّر فى نفسه قائلاً: « إن أنتِ تمتعتِ بهذه الأطعمة فلن تجدى النعم الأبدية والحياة الحقيقية ". حينئذ تنهّد ولجأ

إلى مكان هادئ فى منزله وخرّ على وجهه وأخذ يبكى قائلاً : « يا الله إننى لا أريد شيئاً مما لهذا العالم، بل أريدك أنت وحدك ورحمتك ».

ثم وجدته والدته بعد أن ظلت تبحث عنه وقتاً طويلاً ، ولما لمحت من عينيه أنه كان يبكى سألته : « مَن أحزنك يا ابنى وأين كنت ؟ لقد انتظرناك أنا وإخوتك على المائدة ». فأجابها قائلاً : « اذهبوا وكلوا ، فما أريد أن آكل إلى حين ».

وظلّ فى عزلته يصوم إلى المساء ، وأحياناً كثيرة إلى يومين . وكان يزهد فى الأطعمة الفاخرة واللذيذة مثل راهب وذلك لمدة سنتين . وأخيراً سُمح له أن يمضى إلى أحد الأديرة فى منطقة « لوتوبوليس » ليحيا السيرة الرهبانية مع رهبان ذلك الموضع الأتقياء . وكان عمره وقتئذ أربع عشرة سنة .

٣٤ـ وفى ذات مرة كان الرهبان جالسين فى المساء كالعادة يتحدثون بكلمة الله . فسمع تادرس واحداً منهم يتحدث عن خيمة الاجتماع ، ويبين معنى القدس ، وقدس الأقداس ، ويطابق التفسير على الشعبين فقال : « إن الخباء الخارجى الذى كانت الخدمة فيه تكمل بالذبائح

الحيوانية وخبز الوجوه والمنارة وسُرجها وأشياء أخرى كان يرمز إلى الشعب الأول (اليهودى) .

وقدس الأقداس كان يرمز إلى دعوة الأمم، أى إلى كمال الناموس ؛ وكان كل ما فيه أعظم مجداً من الخباء الخارجى . إذ أنه عوضاً عن الذبائح الحيوانية كان مذبح البخور ، وعوض المائدة كان تابوت العهد الذى كان فيه الخبز الروحانى وكتاب الناموس وكل شئ فيه ؛ وعوض سراج المنارة كان كرسى الرحمة حيث كان الله يتراءى كنارٍ آكلة ، أى الله الكلمة المتأنس الذى فدانا بظهوره فى الجسد " .

وبعد هذا الشرح قال أخ : " أنا قد سمعت هذا الكلام وهذا الشرح من الرجل القديس أبينا باخوميوس الذى جمع فى طبانيسين إخوة كثيرين يتقدمون وينمون فى المسيح ، وإننى أومن أن الرب سيغفر لى الكثير من خطاياى لأنى ذكرت رجلاً باراً فى هذه الساعة "

فلما سمع الصبى تادرس هذا ، التهب قلبه وصلّى قائلاً : " إذ يوجد رجل قديس (مثل هذا) على هذه الأرض ، فاجعلنى مستحقاً أن أراه وأكون له تلميذاً ، لكى تخلّص نفسى بمساعدته " . وهكذا أمضى أكثر الليل مصلياً بهذا الكلام وعينه .

٣٥ - وبعد أيام قليلة صعد هناك "باكيسيوس" وهو راهب شيخ تقى ، من أجل حاجةٍ للإخوة ، فتوسل إليه تادرس بإلحاح أن يأخذه إلى الدير ، وإلى الكبير باخوميوس ، فأخذه معه

ولما وصل إلى الموضع سجد لله وقال : "مبارك أنت يارب لأنك استمعت ابتهالى". ولما التقى بأبينا باخوميوس أخذ يبكى عند الباب ، فقال له : "لا تبكِ يا ابنى فأنا خادم لأبيك" ، وكان يعنى الله.

٣٦ - وبعد أن دخل الدير ، إذ رأى وسمع الإخوة يسلكون باستقامة تهيأ بكل غيرة فى الصلاح ، وأظهر تقدماً ووجد راحة وقوة فى الوصايا كما تعلّم من باخوميوس الذى كان يتمثل بالقديسين . وكان الشاب عاقلاً رزيناً ، وقد أحكم فى نفسه الفضائل الثلاثة الآتية : نقاوة القلب ، كلام النعمة بمقياس ووزن ، لهاعة بدون فحص حتى الموت . ولم يكن أقل من غيره فى الجهاد والسهر فى الصلاة . وكان يجاهد ليقتنى الهبات العظيمة حتى أنه صار معزّياً لكثيرين من المحزونين ومُثقّفاً الذين هم أكبر منه " لأن الريح تهبّ حيث تشاء "

ولمّا رأى أبونا باخوميوس تقدمه الظاهر،

تحقق فى قلبه أن الله سيعهد إليه من بعده رعاية النفوس .

٢٧- ولما سمعت والدته أتت تحمل رسائل من الأساقفة (إلى الكبير باخوميوس) يوصون بإعادة الصبى إليها. ونزلت ضيفة فى دير العذارى وأرسلت الرسائل لعلها تستطيع أن تراه. فتحدث معه الأب (باخوميوس) قائلاً: « سمعت أن والدتك قد أتت من أجلك وأحضرت رسائل من الأساقفة، فمن أجل الرسائل ينبغى أن تذهب وترضيها ».

فقال له الصبى: « أخبرنى، هل إذا ذهبت لأراها لأنها أمى بعد كل ما أدركته من معرفة، أما يلومنى الرب فى يوم الدينونة؟ فبرلا من أن تكون لى بالحرى شهامة الرجل (١كو١٦: ١٣) لأقوم آخرين أصير حجرة عثرة لكثيرين آخرين. وإذا كان أولاد لاوى قد قتلوا والديهم وإخوتهم لإرضاء الرب (خر٣٢: ٢٨) ولكى لا يحل عليهم سخط غضبه، فأنا أيضاً ليست لى أم، ولا شئ من هذا العالم، لأنه يزول ».

فقال له باخوميوس: « إن كنت قد أحببت الله أكثر من أمك فأنا لا أمنعك، بل بالحرى أشجعك على هذا الأمر لأن « من أحب أمه أو أباه أكثر منى

فلا يستحقنى » (مت ١٠: ٣٧) فهذا هو الكمال . أما آباؤنا الأساقفة فاذا سمعوا ذلك لن يحزنهم ، بل بالأحرى يسرّون بتقدمك ونجاحك . والواقع أنه ليس فى ذلك خطية أن يعامل الواحد أقاربه لا كأقارب بل كأعضاء المسيح ويحبّهم بذات الحب الذى يحب به جميع المؤمنين الآخرين . فالجسد لن يفيد (الإنسان) شيئاً بالمرة .»

وهكذا لما علمت والدته أنه لا يريد أن يراها ، فمن محبتها له لم تشأ أن تعود إلى بيتها ولكنها بقيت مع العذارى وقالت فى نفسها : « لعلى أراه مرة وسط الإخوة فضلاً عن أننى أنا أيضاً أريح نفسى »

٣٨ - ومن قبل أن تتسلم الجماعة (نظام) حياة الشركة كان تحت يد أبينا باخوميوس بعض الرهبان كانت لهم أفكار وميول جسدية ، إذ أنه ليس الجميع قد اختاروا خوف الله . فنصحهم بطرق كثيرة لكنهم لم يطيعوا ولم يتبعوا الطريق القويم بل سببوا له حزناً . فمضى بعيداً عنهم وخرّ على وجهه وصلى قائلاً : « أنت يا الله تأمرنا أن نحب أقاربنا كنفوسنا ، فتطلع أنت على هذه النفوس وارحمهم واملأهم خشية لكيما يخافونك ويعرفون ما هى الحياة الرهبانية حتى يضعوا رجاءهم

فيك كبقية الإخوة ."

وبعد هذه الصلاة لمّا رأى أنهم لايرغبون أن يسلكوا معه (باتفاق) بل استمروا فى مخالفتهم ، سلّم لهم القوانين الأساسية والأنظمة الأخرى اللازمة والضرورية .

ولمّا تيقّنوا أنه لن يسمح لهم أن يسلكوا بحسب رغباتهم انتابهم الخوف ورحلوا . وهكذا بعد رحيلهم صار الباقون مثل الحنطة بعد أن يُستأصل منها الزوان .

٣٩ - ولأنهم كانوا يعطون كل ما كان لهم صدقة ، حدث ذات مرة أن أعوزهم الخبز . وفيما كان باخوميوس الإلهى يفكر أن يبيع سجّادتين كان قد أحضرهما أحد الذين اعتزلوا حياة العالم وذلك لكى يشترى قمحاً ، إذ بشخص يقرع الباب - فلما دخل سأله الأب عما يريد ، فأجابه قائلاً : " حين كنت فى المناجم نذرت قمحاً لله من أجل خلاصى ، ثم علمت فى نومى أنه ينبغى بالأحرى أن أحضره إليكم لحاجتكم لأنكم رجال الله "

أجابه باخوميوس : " نحن فعلاً نحتاج إلى القمح ، ولكن أعطنا مهلة من الزمن حتى نردّه إليك " وبعد أن نقلوا القمح من المركب تعجب الإخوة كيف

أعان الله خادمه هكذا سريعاً .

٤٠ - بعد زمان الشهداء كان هناك أحد المعترفين يدعى « ديوناسيوس » ، هذا كان إنساناً تقياً مدبراً لكنيسة دندرة ، وكان صديقاً لباخوميوس . فلما سمع عن باخوميوس أنه لم يكن يسمح للرهبان الزوار القادمين من أماكن اخرى أن يقيموا داخل الدير مع الإخوة ، بل يجعلهم يقيمون وحدهم في مكان قريب من الباب ، حزن لذلك لأنه كان صديقاً . فأتى إلى باخوميوس في طبانيسين وبدأ يلومه بخصوص هذا الأمر . فأجابه باخوميوس بطول أناة قائلاً :

« إن الله يعرف قصدي ومحبتك الأبوية لا تجهل أنني ما أردت قط أن أسئ لأ نفس ، فكيف كنت أجرؤ أن أحزن الرب الذي قال : « كل ما فعلتموه بأحد هؤلاء الذين يؤمنون بي فبي فعلتموه » (يو٤:١٥). فكيف كان يمكنني أن أعزل إخوتي لغير سبب كما لو كنت أعاملهم باحتقار ، هذا لا يكون أبداً ».

ولكني كنت أرى دائماً أن ديرنا به غروس جدد كثيرون لم يعرفوا بعد ما هو الراهب . وأولاد لا يعرفون يمينهم من شمالهم ، ففكرت أنه من الأصلح وبالأكثر لأجل كرامة الآباء والإخوة الزائرين

أن نجعلهم يجتمعون معنا وقت الصلاة الاجتماعية وبعد الصلاة نجعلهم يأكلون ويرتاحون فى مكان هادئ لائق بهم ، بينما أقوم أنا على خدمتهم كما كان إبراهيم يقوم وحده بخدمة الرب تحت البلّوطة .

فلما سمع ديونيسيوس الشيخ هذا اقتنع إذ تحقق أن باخوميوس كان يعمل هذه الأمور بحسب إرادة الله .

٤١ - وحدث أن زوجة أحد الرؤساء فى تلك المنطقة كانت تعانى من نزف دم . فلما سمعت عن الكبير باخوميوس سألت ديوناسيوس المذكور أن يدعوه (كونه صديقاً له) كى يتحدث معه فى أمر ضرورى . وبعد استدعاء الكبير جلس فى الكنيسة يتحدث مع ديوناسيوس . وكانت تؤمن بالله المتأنس الذى قال لتلاميذه : « مَن يقبلكم يقبلنى » (مت ١٠ : ٤٠) فجاءت بقربه ولمست بيدها « القوقوليون » الذى على رأسه ، فللحال شفيت من مرضها .

٤٢ - وكان هناك دير قريب . وقد جرت عادة أب ذلك الدير يزور القديس باخوميوس . وكان هناك أحد الإخوة قد التمس منه أن يولّيه رتبة المدبّر . ولأن أبا ذلك الدير كان يرى أن هذا الأخ غير

مستحق لما طلب، ولكونه لم يقدر أن يقنعه، أجابه بسياسة قائلاً: « ان أبانا باخوميوس أمرأن لا أفعل ذلك لأنه يعلم جيداً أنك لست بعد أهلاً لذلك الأمر ».

فلما سمع الأخ ذلك اجتذبه بغضب قائلاً: "فلنذهب إليه هناك لنرى هل سيثبت هذا الادّعاء ضدى". فتبعه الأب خائفاً وحزيناً مفكراً فيما تؤول إليه الحال. ولما وصلا إلى الموضع وجدا باخوميوس مع الإخوة يبنون حائطاً للدير.

فاقترب ذلك الأخ منه وخاطبه بغضب شديد قائلاً: « إنزل ياكاذب وحاسبنى على خطيتى ». وإذ ظلّ صامتاً قال له أيضاً: "هل استدفعك إذ ليس لك عذر؟ ما الذى يجبرك أن تكذب حتى تقول إنك تبصر وأنت أعمى؟!».

فلما قال هذا الكلام والكبير لا يعلم عما يتحدث عنه أجابه قائلاً: « هذه خطيتى اغفر لى، ألم تخطئ أنت قط ». فلما سمع ذلك هدأ غضبه. ونزل الشيخ من على الحائط وسأل عن أب ذلك الدير فوجده يبكى بقلب منكسر، فسأله: « ما الخبر؟ » فأجابه الأب: « هذا إنسان التمس منى أن يخدم فى مركز أعلى من استحقاقه، وإذ علمت أنه ليس بمقدورى

أن أجعله يتخلى عن طلبه ، إذ أنه لم يستمع لى ، ذكرت اسمك لكى يهدأ لأننا نعلم حقاً أن الرب أعطاك موهبة سرعة اكتشاف الضلاله ، والآن قد زاد هذا الجاهل على أخطائه الأخرى بإهانته إنساناً باراً "

حينئذ قال له باخوميوس : " أما كان ينبغى أن تأتى إلىّ حتى يمكننى أن أعرف مشيئة الله . والآن انصت إلىّ : أعطه طلبته لكى بهذه الوسيلة نستطيع أن ننتزع نفسه من يد العدو . لأنه قد يحدث أنه حتى الإنسان الشرير بالإحسان يعود (إلى عقله) ويدرك ماهو خير . وهذه هى محبة الله أن نعطف بعضنا على بعض .

ولما حصل ذلك الإنسان على طلبه أخذته يقظة عظيمة وتغير قلبه فجأة وعانق الكبير باخوميوس واعترف له قائلاً : " يا رجل الله لقد ارتفعت أكثر مما سمعنا ، ورأينا حقاً نصرتك فى الخير إذ قد أنقذت إنساناً جاهلاً وخالياً مثلى . فلو لم تكن قد ألهمت أناتك علىّ حقاً ، بل قلت شيئاً ضدى لكنت قد تركت الرهبنة وصرت عدواً لله . فمبارك أنت لأنى بواسطتك الآن أحيا . "

٤٣ - جاء إلى الدير إنسان وطلب من الكبير أن يشفى

ابنة له كان بها شيطان . فلما سمع ذلك وكان غير معتاد أن يتصل بالنساء ، أرسل مع البواب هذه الرسالة: " أرسل إلينا قطعة مغسولة من ثيابها ". فلما أحضرها إليه ونظرها لكى يصلى قال : "هذا الثوب لا يخص عذراء". وبعد أن أكدوا له أنه ثوبها أرسل يقول : " هو لها ولكنها ليست عذراء ولا تحفظ نقاوتها ، ونحن نظرته تحققت أنها ليست طاهرة ولهذا قلت أنه ليس ثوبها. فلتعترف أنها منذ الآن تحفظ عفتها أمام الله فهو يشفق عليها فتشفى ."

فلما سألها أبوها فى غضب وحزنٍ اعترفت وتعهدت أن لا تعود تخطئ أبداً . حينئذ أرسل القديس إلى أبيها زيت الصلاة فدهنها بإيمان وشفيت.

٤٤ ـ وإنسان آخر أحضر إليه ابنه به شيطان مارد. فأخذ البواب خبزاً من (باخوميوس) وأعطاه لأبيه ليطعم ابنه قطعاً صغيرة منه كما أمر لكى يشفى . فلما جاع الولد المريض أحضر له أبوه الخبز فلم يمسه بل كل أشياء أخرى . وفى وقت آخر أخفى أبوه قطعاً صغيرة من الخبز داخل بعض البلح والجبنة الطازجة لكى يأكلها دون أن يعلم .

فلما بدأ الولد يأكل فتح البلح والجبنة وأخرج

منها قطع الخبز ولم يأكلها . حينئذ تركه أبوه بلا طعام مدة يومين حتى ضعف وعمل له عصيدة خلط فيها الخبز، وبعد أن دهن ابنه بزيت مقدس أعطاه ليأكل فارتاح الولد ونام . حينئذ عاد الأب إلى الدير وهو يمجد الله مخبراً بشفاء ابنه .

٤٥ - والرب الذى بواسطة قديسيه يدبر خلاص النفوس صنع على يديه أشفية بين العلمانيين والإخوة . وكان إذا التمس الشفاء لأحدهم ولم تُستَجَبْ لطلبته من قبل الرب العارف بقصد قديسيه لم يكن يستغرب أو يحزن لأن صلاته لم تقبل . وقد كان هو نفسه دائماً يقول فى الصلاة : " لتكن مشيئتك لا مشيئتى " كما علّمنا حقاً ذاك الذى هو واحد مع الآب ، أن هذا هو ما ينبغى أن يكون فى كل شئ .

٤٦ - فإن قرأ أحد فى أى وقت كلمات صلواته لربما يقول : " من أين أتت إلينا معرفة هذه الأمور ، نحن الذين نكتب هذا ؟ " . فليتذكر أولاً ما سبق وقلناه أننا سمعنا هذه الأمور من الآباء القدامى وأننا فحصناها بتدقيق : إن الأب القديس كان يجلس أحياناً ويشرح هذه الأمور لكى من خلال معرفته يبين لهم كيف يصلّون

من أجل كل لطيبة . وكان يداوم تعليمه للجميع بكثرة أن يجعلوا إيمانهم ورجاءهم فى الرب ، وأن يحبوا أقاربهم بالحق .

٤٧- وكان أيضاً يعلمهم أنه إلى جانب الأشفية الجسدية الظاهرة هناك أشفية روحية . " فإن كان إنسان أعمى البصيرة ولسبب عبادته للأصنام لا يرى نور الله ، ثم يُقاد إلى البصر مرة أخرى بالإيمان بالرب ومعرفة الإله الحقيقى وحده ، ألا يكون هذا شفاءً وخلاصاً ؟ . وإن كان إنسان آخر ثقيل اللسان لسبب الكذب وعدم النطق بالحق فيقتنع بواسطة رجال الله أن يتكلم الصواب ، أما يكون قد نال شفاءً روحياً ؟

وإذا أظهرت الرحمة لإنسان يبست يداه لكونه لا يعمل وصايا الله فنهض من تكاسله وبدأ يعمل من أجل الصلاح ، ألا يكون ذلك أيضاً شفاءً ؟ وأخيراً ، إذا تاب إنسان فاسق أو متكبر وعاد إلى مخافة الله بمساعدة واحدٍ من خدامه ، ألا تكون هذه آية ؟ "

٤٨- " سألنى أحد الإخوة قائلاً : " أخبرنا عن منظر مما ترى " . فقلت له : " إن مَن كان مثلى خاطئاً لا يسأل

الله أن يرى مناظر، لأنه بدون مشيئة الله تصير المناظر مضللة، أما إن كانت بحسب مشيئة الله، فلن يتأذى خادم الله من الكبرياء والتفاخر من أى شئ يحصل حتى ولو كان سيقيم ميتاً. فإذا لم تكن له مناظر لايكون قادراً أن يرى العناية (الإلهية) التى تضبط كل شئ.

فاسمع الآن عن منظر عظيم: إنه لمنظر عظيم حقاً أن ترى إنساناً نقياً متواضعاً. لأنه أى منظر أعظم من هذا أن ترى الله الذى لا يُرى فى الإنسان المرئى الذى هو هيكله؟

وعلى هذا المثال ينبغى أن نفهم صفاء رؤية القديسين الذين يرون ما يجول بنفوس الآخرين، كما فى مثال أليشع مع جيحزى. فالقديسون تكون لهم هذه الرؤيا الصافية عندما يمنحهم إياها الرب الساكن فيهم والفاحص كل الأشياء، وخلاف ذلك يكونون كباقى الناس. إلا أنهم كانوا دائماً ذوى بصيرة نيّرة لأنهم كانوا يرون الله. هوذا واحد منهم يفسر لنا ذلك قائلاً: «رأيت الرب أمامى فى كل حين» (مز١٦: ٨). ولا يُدان أحد قط لأنه لا يرى الخفيات، ولكنه يُدان مثل أولئك الذين يدينهم الروح فى المزمور لأنهم «لم يجعلوا الله أمامهم» (مز٥٤: ٢).

٤٩ - " إنه لمن السهل بالنسبة للأولاد أن يدركوا هذه الدرجة من النقاوة - فهم حين يسمعون عنها فى سن مبكرة يمتدون إلى قدام بحماس بالغ إلى أن يدركوا حدّ الكمال، كما فعل صموئيل فى الهيكل . لأن الأرض التى تنقّت تصير مستعدة لقبول غروس الكرمة . أما إذا كانت الأرض جافة بائرة فإن رجالاً كثيرين معاً يجدون صعوبة فى تنقيتها حتى يمكن أن تزرع بها البذور الجيدة .

ونحن نعلم - كما فى الكتاب - أنه حتى الأرض النقية المزروعة ، إذا نحن أهملناها تصير عاقراً ، حتى لو كانت البذور المزروعة فيها جيدة (أم ٢٤ : ٣١) . وكذلك الأرض الجافة غير المزروعة يمكن تنقيتها وزراعتها بالاجتهاد اللائق والغيرة .

لهذا ينبغى أن نعتنى بالأولاد كإرادة الله ، لكى ذاك الذى يحفظ الأطفال كما فى الكتاب (مز ١١٦ : ٦) هو أيضاً يحفظ نفوسنا مثل حدقة العين . ولا ينبغى أن يجرؤ أحد أن يؤذى نفساً حتى فى فكره لكيلا يكون كمن ينقر حدقة العين التى تتطلع إلى الله الديّان العادل (٢ تى ٤ : ٨) . وليست الحاجة إلى كلام كثير كيف نعظهم ، إن عبارة واحدة تكفى : فالإنسان الذى ينقّى ضميره إلى الكمال فى الحق وفى

مخافة الله ، يستطيع بمعونة الله - إذ أنه دائماً محتاج إلى الرب - أن يحفظ الأطفال »

٥٠ - أما تادرس الذى تكلمنا عنه من قبل ، فلكونه صغيراً تثقف بكلام الله الحق وتقوّى بالروح إذ كان يرى أن الأب باخوميوس الذى يرشده كان بلا عيب فى كل شئ ، فألهاه كمن يطيع الله . وكان إذا حدث أن أمره بأن يعمل شيئاً ثم غيّر رأيه ، ولوم تادرس على عمله ، فما كان يتأثر أو يلتمس الأعذار أو المجادلة حين كان يعاتبه قائلاً : « لماذا فعلت ذلك ؟ » بل كان يظل صامتاً ويقبل اللوم بإيمان صادق ، ويتفكر فى نفسه قائلاً : « إن رجل الله لا يغيّر كلمته . وربما لأننى لم أكن مستقيماً وقد انحرفت بعيداً من الروح القدس أعطانى أوامر وأنا لم ألاحظ . لأنه لو لم يكن الأمر هكذا كيف كان يلومنى بعد أن يعطينى الأوامر ؟

.. وأننى أجد ما يماثل ذلك فى أرميا (أر ٧ : ٢٢) أن الرب وبّخ الشعب لأنهم لم يقدموا له الذبائح بالحق ، على أساس أنه لم يطلب ذلك من آبائهم ، مع أنه كان قد أمر بذلك بواسطة موسى . هكذا أنا أيضاً ينبغى أن أبكى إلى أن يهدى الرب قلبى إلى الطاعة اللائقة لقديسيه »

٥١ - وحدث مرة إذ كان الإخوة في إحدى الجزائر يحصدون الحلفاء وتادرس معهم ليهتم بالموائد، أن عاد أبونا باخوميوس من العمل مساءً وهو مريض. وإذ رقد وهو يرتجف، ألقى عليه تادرس غطاءً من الصوف، فلما رآه لم يشأ ذلك وقال: "خذ هذا وضع على حصيرة من الحلفاء كما كنت ستفعل مع باقي الإخوة جميعاً".

ثم قدم له تادرس ملء قبضته تمراً، ولكنه لم يأخذها بل قال له: "هل الآن لنا السلطان على تدبير أتعاب الإخوة وحاجاتهم نستعمل ذلك لإراحة نفوسنا؟ فأين مخافة الله؟ أترى افتقدت قلالي جميع الإخوة في هذه الساعة لتتأكد أن ليس أحدٌ بينهم مريضاً؟ لأن الله هو ديّان حتى على هذه الأمور أيضاً".

٥٢ - وكان (باخوميوس) بإفرازه الروحي يختبر أنواع الأمزجة، إذ أن الشياطين تحاول بكل طريقة أن تقف في طريق المؤمنين. وحدث مرة بينما كان في الدير أن أخذته حمّى ولازم الفراش بدون طعام لمدة يومين كاملين. ولمّا صار اليوم الثالث ولم يكن قد أكل بعد، وقف قليلاً ليصلّي، لأنه كان يشتاق إلى الله،

فأحس بالشفاء من مرضه . ولما قرع المدبّر على الباب وقت الطعام كما هي العادة ، منطلق حقويه ليذهب إلى المائدة ويأكل مع الإخوة الأصحاء وقد أحس أن المرض لم يكن جسمانياً ، وشكر الله الذي منحه العافية.

وكان إذ رأى إنساناً آخر مريضاً كان يهتم بشفائه لئلا يهزأ به العدو . ومَرِض الأب مرة أخرى مع أنه كان قديساً - ولكن الجسد ضعيف - وذلك لأن الله يمتحن خدامه بطرق متنوعة .

٥٣ - وكان هناك في قلاية قريبة أخٌ قد مرض إلى حد الموت . وكان قد التمس من أب الدير أن يطعموه قليل لحمٍ - لأنه لسبب طول المرض لم يبق في جسمه غير الجلد والعظام - ولما لم يعطوه قال لواحد من الإخوة : « اسندني وخذني إلى أبينا باخوميوس » فلما اقترب منه خرَّ على وجهه وأخبره بعلّته . فتحقق باخوميوس أن الرجل يستحق ما يطلبه ، وتنهّد .

وعند وقت الطعام قدموا لباخوميوس نصيبه كباقي الإخوة فلم يأكل بل قال لهم : « أنتم تحايون بالوجوه : فإذا نظرنا إلى المكتوب "تحب قريبك كنفسك" ألا ترون أن هذا الإنسان صار كالميت ؟ فلماذا لم تقدموا له العناية الكافية من قبل أن يطلب ؟ ستقولون أننا

أهملناه لأن هذا النوع من الطعام ليس لنا به عادة عندنا. ولكن ألا يختلف الحال بالنسبة للمرض؟ أليست كل الأشياء طاهرة للأطهار؟ وإذا لم تكونوا قادرين أن تروا ذلك صالحاً بدون أن تأخذوا مشورتي، فلماذا لم تخبروني؟"

وملأت الدموع عينيه وهو يتكلم بهذا الكلام، والدموع علامة المشاعر الرقيقة؛ وحتى لو لم تأتِ الدموع لمن كان ذا مشاعر رقيقة إذا حدث شيء، يكون له البكاء الداخلي عوضاً عنها.

فلما سمعوا هذا أسرعوا واشتروا لحماً ليطعموا الرجل الضعيف. وحينئذ أكل باخوميوس طعامه العادي من الخضار للسلوق.

٥٤ - ولما رأى باخوميوس تزايد عدد الإخوة، وأن الدير أصبح صغيراً جداً بالنسبة لهم، نقل البعض منهم إلى "بافو" وهي قرية خربة وبنى معهم ديراً جعله متسعاً، إذ كان يرى أن كثيرين قد يدعوهم الرب، ثم عين له مدبراً ومساعدين للاهتمام بالإخوة ومدبرين للبيوت ومساعدين لهم بحسب أنظمة الدير الأول في طبانيسين.

وجعلهم يكتبون الأنظمة والقوانين ليتأكد من حفظهم لها، لكي يسلك كل واحد بموجبها دون

أن يؤذى رفيقه. لأن النظام جيد والإنسان الكامل وحده هو الذى لا يجد صعوبات حتى فى عدم وجود النظام كما هو مكتوب أنهم « فى أيام الجوع يشبعون » (مز ٣٧ : ١٩).

وكان يواظب على افتقاد الديرين ليلاً ونهاراً كخادم أمين للراعى الصالح.

وبعد ذلك حتى دير «بافو» أيضاً صار مزدحماً بالإخوة، وبعد قليل جاء إلى باخوميوس شيخ ناسك يدعى « أبونيخس » - وكان أباً لدير آخر لإخوة كبار - وسأله أن يقبل هذا الدير فى شركة الإخوة - وكان ذلك الدير يُدعى « شينوبوسكيا ». فأخذ باخوميوس معه إخوة آخرين وأحضرهم إلى ذلك الدير. وصلّى فى ذلك الموضع وأسلمهم إلى عناية الله ليسكنوا هناك مع الإخوة سكان الدير الأصليين ويتبعوا القوانين عينها. وعين لهم بالمثل أيضاً « مدبّراً ومساعداً له، ومديرين للبيوت مع مساعديهم.

وبعد ذلك حين تقدم إليه قادة رهبان دير رابع يُدعى « مونخوسين » يطلبون إليه نفس الشئ، أحضر إخوة هناك بحسب نظام الشركة وسلّم لهم القوانين. وكان بهذا الدير راهب شيخ قديس وناسك كامل يدعى يوحنا، كان يلاحظ الإخوة بغيرة عظيمة.

وأخذ باخوميوس أيضاً إخوة أقوياء بالروح ورتبهم في كل دير ليدبّروا الإخوة كما لو كان هو نفسه حاضراً إلى أن يأتي هو بنفسه .

٥٥ - حدث مرة بينما كان باخوميوس ماضياً في مركب إلى « منخوسين » مع اثنين من الإخوة ، أنه عند المساء أعدّوا مائدة ، ولما جلسوا ليأكلوا ورأى كثرة تنوع الأطعمة على المائدة : جبناً وتيناً ، وزيتوناً ، وأشياء أخرى كثيرة ، بدأ يأكل خبزاً فقط . أما الأخوان فصارا يأكلان من كل شئ بغير إفراز ، ولاحظ أحدهما أن عينيه تدمعان .

فبعد أن قاما عن الأكل سأله عن هذا الأمر ، فقال لهما أنه لا شئ . فلمّا ألحّا عليه مرة ثانية قال : « كان حزني لأجلكما لأنكما لستما متعففين في الأكل . فإن من كان عقله في السماء يجب أن يكون زاهداً بحقٍ وليست له شهوة الأكل . والأكل ليس خطية ، وخصوصاً إذا كان باعتدال . ولكن الأفضل كما يقول الرسول أن لا نستعبد لشئ (١كو٦ : ١٢) . وأنا فلكوني إنساناً خاطئاً وجدت في الخبز كفايتي وصرت قانعاً به . وأوقاتاً أخرى آكل ما يعطيني إياه الله » فلما سمعا هذا الكلام اقتنيا غيرة في أن يكونا زاهدين في الأطعمة .

٥٦ - وكان يجلس دائماً ليعظ الإخوة ويعلّمهم كيف يكونون بلا عيب فى المعرفة، وغير جاهلين بقوة العدو وكيف يقاومونه بقوة الرب، فكتوب: « بالله نصنع القوة » (مز ٥٩ : ١٤).

وكان يفسّر لهم كلام الكتب الإلهية، وخصوصاً تلك الأقوال العميقة والصعبة التفسير، وعن تأنس الرب وصلبه وقيامته كان يقول لهم: « أمّا عن الكلمة الإلهى الصائر إنساناً يكفى أن نعرف من بين الكثير مما جاء فى العهد القديم ما يقوله إشعياء » وأنا آتى لأجمع الأمم » (إش ٦٦ : ١٨). وفى الإنجيل يقول: « الكلمة صار جسداً وحلّ بيننا » (يو ١ : ١٤). وبخصوص الصليب، فلنتذكر الكبش المشدود فى شجرة شابق وكانت خشباً. والكبش هو الذى قُدم ذبيحة محرقة عوضاً عن اسحق. وإبراهيم قال عن ذلك بإحكام: « الرب يُرَى على الجبل » (تك ٢٢ : ١٤) وكان بذلك يعنى صليب ابن الله الوحيد.

وفى الإنجيل نجد أن الخليقة من خلال قواتها قد شهدت للصليب وأن يسوع المسيح المصلوب هو رب الكل.

وعن قيامة جسده بعد الموت قيل بإشعياء « إن مسرّة الرب أن يطهّره من الضربة » (إش ٥٣ : ١٠).

أى أن يقيم جسده لأنه كان غير مذنب فى موته ، إذ أنه مات من أجلنا . وفى الإنجيل عندما لمس توما الجسد المصلوب والمُقام ، الذى كان الكلمة حالاً فيه كما فى هيكلٍ قال : « ربى وإلهى » ، فهو أيضاً شاهد صادق .

وحول موضوع قيامة الكل تذكّر أن جسد الرب المصلوب هو مشابه لما لنا ، وكما قام هو هكذا سنقوم نحن . والحقيقة إننا بقيامته قمنا نحن أيضاً ، لأن الله الكلمة قام من الأموات ونحن معه ، لأنه أقامنا مع جسده . وهذه ليست كلماتنا بل قد سمعناها منه حين قال : « تأتى ساعة حين يسمع جميع الذين فى القبور صوت ابن الإنسان ويقومون » . وحين تكلم بولس الرسول عن القيامة قال أموراً يعوزنا أن نعرفها ونفهمها بحقٍ ، ولكن كلمة واحدة تكفى : « إذا كان الموتى لا يقومون ، فالمسيح لم يقم » (١كو ١٥ : ١٦) .

٥٧ - « أيها الإخوة ، إذ كنا قد آمنا بالقيامة العتيدة ينبغى أن نعرف القيامة الروحية ، إذ أن الرب نفسه قال : « من آمن بى ولو مات فسيحيا » (يو ١١ : ٢٥) ؛ لأن كلام الرب حق أن كل خالمئ يؤمن ويطيع وصاياه سيحيا كما قال داود : « تحيا نفسى وتسبحك » (مز ١١٨ : ١٧٥) .

فلنفهم يا إخوة كيف يأمرنا الرب من خلال أعماله

أن لاتشتم أحداً . فقد حدث أن شتموه مرة قائلين : « بك شيطان » فلم يرد الإساءة . وفي وقت آخر وجّه الكلام إلى الكتبة والفريسيين وقال : « ويل لكم » . وأيضاً دعاهم عمياناً وقبوراً مبيضة ، وما أشبه ذلك ـ كما لو رأى إنسان " حفرة " فأمسك بالعميان لئلا يسيروا ويقعوا في عمقها المهلك ؛ هكذا الرب أيضاً كشف عن شر أعمالهم للمؤمنين لكي لا يتشبهوا بهم فيموتوا معهم . وإذ لم يرد الشتيمة بشتيمة علمنا أن لا نفعل ذلك ، كما علمنا أيضاً فضيلة الصبر . وحين قال لبطرس : « اذهب عني ياشيطان » لم يكن يقصد بطرس بل الشيطان الذي يحض البشر أن يهتموا ويتكلموا فيما للناس » .

٥٨ ـ وبعد أن انتهى من كلامه قام أبونا باخوميوس وصلّى مع الإخوة كي يتذكروا دائماً كلام الله لأجل خلاصهم . وانصرف كل واحد إلى مسكنه ليدرس ما تذكره . وبعد أن تموا الصلوات الستة جلسوا يتحدثون معاً ويتذكرون ما قيل .

ولم يكن أحد ينطق بكلمة واحدة بطالة من أقوال هذا العالم ، إلا تلك الفصول التي كانوا يحفظونها عن ظهر قلب ، أو تفسير أحد الأقوال الروحية أو الحديث

عن الأعمال العجيبة التى تحدث بإرادة الله .

٥٩- ولم يكن يُعمل أى شئ فى البيوت دون رأى المسئولين عن الاهتمام به . وما كانوا يدخلون قلاية ليزوروا أخاً . وفى كل بيتٍ كان مدير البيت أو مساعده يحفظ الملابس الزائدة فى قلاية إلى أن يحتاجوا إلى غسلها واستخدامها . وكانت الكتب كذلك تحفظ فى مخزن صغير تحت عنايتهما معاً .

ولم يكونوا يقتنون نقوداً أو ذهباً بصفة خاصة حتى أن بعضهم ماتوا ، وهم لا يعلمون ما هى النقود ، باستثناء الأمناء المؤمنين الذين كانوا فى خدمة الدير ، وحتى هؤلاء كانوا عند دخولهم الدير لا يُبقون شيئاً فى أيديهم أكثر من يومٍ واحدٍ بل يسلمونه للمدبّر ، ليحفظه حتى وقت خروجهم مرة أخرى .

وكانت كل هذه القوانين الضابطة مكتوبة فى كتاب لكل مدبّر فيما يخصّه من مسئوليات .

٦٠- وحدث بينما كان أبونا مقلعاً فى مركب إلى الأديرة أن صار المساء ، فقال لهم : " أتؤثرون أن تسهروا هذه الليلة ؟ " فلما أجابوا " نعم " قال لهم : " إن أبانا القديس بلامون علّمنى ثلاثة رسوم للصلاة :

إما أن نصلى حتى نصف الليل ثم نرقد حتى الصباح ؛ أو أن نرقد حتى نصف الليل ونصلى حتى الصباح ، أو أن ننام مباشرة قليلاً ثم نقوم ونصلى وبعد ذلك ننام ثانياً إلى الصباح "

فاختاروا الرسم الأخير . وبقى باخوميوس ساهراً ورتّب ساعات النوم والصلاة بالتساوى ، لأنه كان خبيراً فى حفظ (ترتيب) صلوات السهر . وضجر أحدهم ومضى لينام وبقى الآخر معه حتى الصباح . وعند الفجر (السحر) أنهض الأول ليقوم بالخدمة الإلهية . وبعد ذلك مضى الثانى إلى خن المركب ونام . أما باخوميوس فظل يجدّف مع الأخ الذى نام أثناء الليل وقتاً طويلاً حتى وصلوا إلى الدير .

٦١ - وكان كورنيليوس السابق ذكره مدبّراً لذلك الدير ، فلما سمع بوصول باخوميوس جمع الإخوة معاً وخرج لاستقباله ؛ ولمّا رأوه عانقوه مع الإخوة . وفيما كان أحدهم داخلاً سأله كورنيليوس : " ماذا يعمل أبونا هذه الأيام ؟ " فأجابه : " ظلّ يعلّمنا طوال هذه الليلة " . ولمّا أخبره بكل ماحدث قال له كورنيليوس : " يا للضعف ! تجعلان شيخاً ضعيفاً يغلبكم وأنتم فى شبابكم " . فسمعه الأب باخوميوس يقول ذلك ولكنه

سكت كأنه لم يسمعهما .

ولما كان المساء وقت إيقاد الأنوار قال باخوميوس لكورنيليوس : « أتشاء أن تصلى ؟ » أجابه : كما تريد . ولما قاما فى الصلاة أخذ باخوميوس يتأنى فى صلواته ، وفيما هو يطيل الصلاة لكى يختبر كورنيليوس تحقق رفقاؤه مما كان سيحمله من خبرتهما معه على المركب فى الليلة الماضية ، فانصرفا إلى مكان آخر حيث رقدا ، أما كورنيليوس فصبر معه . وكان باخوميوس واقفاً يصلى - وامتدت الصلاة طويلاً جداً ، وهو يهذ فى الفصول الكتابية التى كان يحفظها عن ظهر قلب .

فلما دق الناقوس معلناً وقت خدمة الصباح ختم باخوميوس الصلاة . وقال له كورنيليوس : « ما الذى صنعته لك يا أبى ؟ إننى فى الليلة الماضية لم أذق حتى الماء » . فأجابه باخوميوس : « يا كورنيليوس أتجعل شيخاً يغلبك فى الصلاة ؟ » حينئذ علم كورنيليوس أن باخوميوس كان قد سمعه يقول ذلك إلى أحد الإخوة ، فقال له : « أخطأت فاغفر لى لأننى لم أتكلم باستقامة ؛ إن الروح الذى فيك قدوس وهو قوة الله .

٦٢ - وكان مرة يسير بجوار بعض المقابر فسمع بعض

الناس يبكون ، فقال لتادرس الذى كان سائراً معه :
- إنهم يبكون من أجل ميتٍ لن يكون بمقدورهم أن يستردّوه ، فلنبكِ نحن أولاً من أجل نفوسنا ثم من أجل الآخرين لعلنا إذ نضم بكاءَنا إلى بكائهم (رو١٢: ١٥) . يقيمهم الرب فهو يقول : " استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضئ لك المسيح " (أف٥ : ١٤) .
وإذ نسمعهم دائماً يبكون فلا ينبغى أن ندهش لذلك لأن جميع القديسين هم فى وادى الدموع (مز٨٣: ٦) . إنَّ يوسف بكى لأجل خلاص إخوته أكثر من مرة (تك٤٢: ٥) وأرميا لأجل السبى (مراثى ١: ١) ، هكذا يبكون هم أيضاً لأنهم أولادهم " .

٦٣ - وكان أيضاً يعلّم الإخوة ألاّ يعطوا انتباهاً إلى حسن هذا العالم وجماله ، سواء أكان طعاماً لذيذاً ، أو ملابس ، أو قلاية ، أو كتاباً مزيناً . وكان يقول : " إن حُسن المؤمن وبهاءه هو فى وصايا الله كقول المزمور : " يارب بمسرتك تعطى لجمالى قوة " (مز٢٩: ٧) .
ومع أن يوسف كان جميلاً جداً فى منظره وجاء إلى مملكة مصر ، إلا أنه لم يلتفت إلى تلك الأمور الزائلة ، لأن الطهارة كانت له جمالاً والعفة مملكته . أما الآخرون الذين وجدوا مسرتهم فى أمور هذا العالم ،

فقد هلكوا بموت شرير كما فعل أمنون وأبشالوم .

٦٤- وفيما كان يأكل مرة إذ كان مريضاً قدموا له بعضاً من مرق السمك بالزيت ، فلما رآه تذكر الملح والرماد في الأيام السالفة ، وطلب من الذي أحضره أن يحضر إليه جرّة الماء ، فلما أحضرها صب الماء (على الطعام) لكي يزيل الزيت الذي يعلوه . ثم أعطى الجرّة لتادرس وقال له : « صب ماءً لكي أغسل يدي » . وفيما هو يغسل يديه صب ماءً على قدمي تادرس لكي يغسلهما أيضاً .

فسأله تادرس : « يا أبي لماذا فعلت ذلك لي ولطعامك ؟ » فأجابه : « فعلت ذلك بالطعام حتى لا أجد لذّة في الأكل ؛ ولمّا كنت أغسل يدي صببت ماءً على قدميك كما لو كنت أغسلهما ، لكي لا أدان من ضميري أنني أخدم منك بدلاً من أن أخدم أنا الآخرين جميعهم » .

٦٥- وبعد مدة جاء بفنوتيوس أخو تادرس ليصير راهباً ، ولم يشأ تادرس أن يعامله كشقيق له ، لأن تادرس كان قد خلع عنه الإنسان العتيق . وإذ كان الأخ يبكي لهذا السبب قال الأب باخوميوس لتادرس : « كما أنه جيد للشجرة المغروسة جديداً سقيها والعناية بها ، هكذا فملاطفة هؤلاء مفيدة في البداية ، إلى أن يتأسسوا

فى الإيمان » فلما سمع تادرس هذا الكلام عمل بموجبه .

٦٦ـ اغتمّ أحد الإخوة بالدير بسبب توبيخ باخوميوس له من أجل خلاصه . أما تادرس فلكونه قطناً حكيماً ، عرف أن الرجل كان ساخطاً فى قلبه إلى حد التفكر فى ترك الإخوة لهذا السبب . فقال له : « إنك تعلم أن كلام الشيخ صارم فوق كل مقدار وأنا أيضاً لا أعرف هل بامكانى أن أقيم هنا » . فارتاح الأخ إليه وأجابه : « هل حدث نفس الشئ لك ؟ » . فقال له تادرس : « بل وأكثر منه معى ، ولكن دعنا نتأسى معاً إلى أن نختبره مرة أخرى فإن هو تلطّف بنا بقينا ، والاّ فلنمضِ ونحيا معاً حياة الهدوء كمتوحدين » . فلما سمع الرجل الضعيف ذلك الكلام تقوّى .

حينئذ مضى تادرس سراً إلى أبينا باخوميوس وأعلمه بالأمر ، أجابه باخوميوس : « أحضره هنا لكى تلومانى كلاكما لأجل هذا الأمر ، ولكما يعطينى الرب أقنعه » .

ولما مضيا إليه وتظاهر تادرس أنه يوبخ باخوميوس . فكان يجيبه قائلاً : « اغفر لى ، أنا أخطأت ، أما تحتملون آباكم مثل أبناء ؟ » وإذ بدأ تادرس يتظاهر بتوبيخ باخوميوس مرة أخرى أشار إليه الأخ وقال له : « كُف ، فهذا يكفى ، لقد تعزيت جداً » . وهكذا أفاد تادرس

الأخ بدهائه الممدوح .

٦٧- وإذ رأى أبونا باخوميوس أن تادرس كان حكيماً ولمائعاً بالحق ، أرسله إلى منزل أحد الإخوة الذى كان قد طلب زيارة عائلته . فلما دخل كلاهما المنزل ، أعدّ والداه لهما طعاماً فى مكان هادئ فى البيت . حينئذ قال الأخ لتادرس : « هلم نذهب لنأكل » ، ولكنها لم تكن عادة الرهبان أن يأكلوا فى منازل العالم ، إلاّ أن تادرس تحقق أنه إن لم يتنازل فيأكل مع الأخ فلن يعود معه إلى الدير ، لأنه كان عازماً أن يأكل خلافاً لرغبة تادرس . ومن أجل هذا ذاق تادرس قليلاً (من الطعام) ، وحتى هذا مزّق قلبه . فلما عادا إلى الدير حكى تادرس ما حدث للأب باخوميوس الذى عذره لعلمه أنه فعل ذلك ضد إرادته .

٦٨- وبعد ذلك تكلم تادرس مع أحد الإخوة القدامى حول معنى الفصل من الإنجيل الذى يقول : « إن كان أحد يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمّه .. » (لو١٤: ٢٦) وسأله : « ماذا يعنى هذا حسب رأيك ؟ » .

فأجابه ذاك : « إن الكتاب يغالى فى الكلام لكى نبلغ اليسير من علوّ الوصايا ، وإلاّ فكيف يمكن أن نبغض

والدينا ؟ » . قال ذلك لأنه كان يداوم على زيارة عائلته وكان غير قادر حتى بعد كل الإرشاد أن يتخلّص من اهتمامات الجسد .

أجابه تادرس بدهاء : « أهذا حقاً إيمان رهبان طبانيسين ؟ الإنجيل يقول شيئاً وأنت تقول شيئاً آخر . سأترك هذا المكان ، لن أبقى هنا ، قد كنت سعيداً حيث كنت أعيش أولاً لأن آباء ذاك المكان ما جحدوا الإنجيل قط » . وبهذه الهيئة انفرد عنه ليختبئ بعض الوقت .

فلما مضى الأخ إلى الأب باخوميوس وعرّفه بالأمر ، أجابه باخوميوس : « أما تعلم أنه غرس جديد ، أسرع وابحث عنه ، لأنه إذا خرج لهذا السبب تكون لنا سمعة رديئة » .

فلما وجد تادرس ترجّاه كثيراً ، فقال له تادرس : « إن كنت تريدني أن أبقى وأرى أن ما تقوله هو حق ، اِعترفْ أمام الرب والإخوة أنك تتبع الانجيل » ففعل ذلك وانقطع نهائياً عن الذهاب لزيارة والديه .

٦٩ - كان هناك أخ ناسك ولكن ليس بحسب الله . وقد لاحظ باخوميوس ذلك مرات كثيرة . فأخذه على انفراد وقال له : « أيها الأخ ، إن كان الرب يقول : " لم آتِ من

السماء لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى »، ألا فاسمع أنت لذاك الذى يكلمك بواسطتى، لأنى أرى العدو بجسدك بخبثٍ زائد ويشاء أن يهلك كل أتعابك ، لهذا فحينما يدقون الناقوس للإخوة ليأكلوا أثناء النهار لاتتأخر ، بل اذهب وكُلْ حوالى خمس قِطَع من الخبز وتذوَّق الطعام المطبوخ الذى يُقدم لهم . ثم لكونك قوى البنية فلكى تكون سيداً لجسدك لا تأكل حتى تمتلئ . ومالم يقم الإخوة فى خدمة الصلاة لاتصلِّ أنت كثيراً حتى تغلب شيطان الغرور لأنه يتربّص بك ».

فلما سمع الأخ ذلك الكلام اقتنع إلى حين ، ثم عاد وانقاد للضلال متفكراً فى نفسه ، "أين كُتب أنه ينبغى ألا أصوم أو أُصلى ؟ ".

فلما ثبت على عصيانه وقارب أن يمتلكه الشيطان استدعى باخوميوس تادرس وقال له : « إن حزنى لشديد على هذا الأخ ، لأنه لايسمع لى . فامضِ أنت وافتقده وانظر أى شئ يفعل . » فمضى تادرس ووجده يصلّى من دون انقطاع . فعاد وأخبر باخوميوس فقال له أيضاً : « اذهب وامنعه من الصلاة ، فحين تمنعه فإن الشيطان الذى فيه سوف يظهر نفسه للوقت ؛ فإذا رأيت ذلك لاحظه حتى آتى ».

فلما منعه تادرس من الصلاة صرخ فى وجهه قائلاً :

" يامنافق أتمنعني من الصلاة ! " ولما جلس تادرس مداوماً ملاحظته نهض وأخذ بيده عود خشب كبير يريد أن يضربه على رأسه . فاحتمى منه تادرس وزجره باسم الرب فكفَّ الرجل الممسوك (من الشيطان) وقال : " أتريد أن تعرف أن كل الذين يتلذذون فى التلحين إنما يعملون ذلك بفعلى ، انصت إلى ذلك الأخ الذى يلحّن الآن كيف سيكرر تلحين الكلمة عينها إلى تسع مرات ! "

وكان هناك بالفعل فى أحد القلالى شخصٌ يلحّن بداية تسبحة موسى : " فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد ". فلما تحقق من ذلك وسمعه ، انزهل تادرس وصار خائفاً متفكراً فى مقدار اليقظة التى يحتاج إليها الإنسان لكى ينجو من الشياطين المتنوعة .

وبعد ما صلى الأب باخوميوس مراراً من أجل ذلك المريض ، تحنن عليه الرب الرحوم بالشفاء ، ومنذ ذلك الحين صار صحيحاً وحفظ نفسه .

٧ـ كان بأحد الأديرة بئرٌ يحتاج إلى تطهير . فأخذ باخوميوس الإخوة ونزلوا فى البئر لتطهيره . وكان هناك شيخ أمضى معظم حياته فى العالم ثم جاء وصار راهباً ، هذا لما رآه ينزل مع الإخوة فى البئر ، ولم يكن ذلك

الشيخ قد عرف بشجاعة الذين آمنوا بالكمال ، فبدأ يتذمر قائلاً : " إن هذا الإنسان عديم الرحمة ، فقد أخذ أولاد الناس وأنزلهم فى البئر بالليل ليموتوا . "

وفى تلك الليلة فيما هو نائم رأى نفسه قائماً على قمة البئر ، وشاهد بين الذين يعملون فى قاعه إنساناً بهياً يقول لهم : " خذوا روح الطاعة والقوة " ، ويقول له " أما أنت فتستحق أن تأخذ روح عدم الإيمان " ففزع من هذا الحلم ، وجاء ليلاً بين الإخوة أثناء خدمة الصلاة ، ووقع على وجهه واعترف لهم بكل ما حدث .

٧١ - بينما كان الإخوة مرة يقطعون البردى وينقلونه إلى المركب ، أُخذ باخوميوس فجأة فى دهشة فرأى بعض الإخوة تحدق بهم النار من كل ناحية وألسنة اللهيب تحولهم ، وهم غير قادرين أن يقفزوا فوقها . وشاهد آخرين قائمين حفاة فوق عيدان خشب مملوءة أشواكاً وقد انغرست فى أقدامهم وما يمكنهم أن يخرجوا إلى موضع آخر وآخرون رآهم واقفين على جرف شديد الانحدار ، وهم غير قادرين على الصعود منه أو النزول إلى البحر ، حيث كانت التماسيح تلحظهم وتقفز إلى فوق نحوهم ..

وفيما هو لا يزال واقفاً هناك متطلعاً رآه الإخوة

المارين بجواره فألقوا أحمالهم ووقفوا عن قرب ليصلّوا. ولمّا عاد إلى نفسه بعد وقت طويل أمر الإخوة أن يتناولوا الطعام لأن الوقت كان متأخراً. وبعد ذلك وعاهم أن يجتمعوا حوله. ولمّا أخبرهم برؤياه بكوا جميعاً بخوفٍ، ولمّا سألوه عن معنى ذلك قال: "على ما أظن أن هذا سيحدث للإخوة بعد وفاتي، إذ أنهم لن يجدوا من يقدر أن يمنحهم باسم الرب العزاء الضروري في أوقات التجارب".

٧٢ - جاء أحد الإخوة المتوحدين ليرى أنبا باخوميوس وجلسا يتحدثان في الأمور الموافقة للسيرة. ثم قال باخوميوس لتادرس: "أعدّ طعاماً للأخ"، فخرج تادرس وجلس خارجاً ظناً منه أنه قال له: "اخرج حتى أتكلم مع الأخ". ولمّا لم يعدّ تادرس الطعام، كلم باخوميوس أحد المدبّرين وكان ماراً بهم، فمضى هو أيضاً دون أن يعلم ما الذي كان يقوله له. وكان باخوميوس يقظاً بروحه فتحقق أنها تجربة وقام وأعدّ بنفسه الطعام للأخ وأكل معه ثم تركه وانصرف.

حينئذٍ دعا تادرس وقال له: "إذا قال لك أبوك الجسداني أمراً أكنت تتجاهله؟ لماذا لم تعدّ طعاماً للأخ؟" أجابه تادرس: "لقد ظننت يا أبي أنك تقول لي أن أخرج".

لكى يمكنك أن تتحدث إلى الرجل ". ولما دعا المدبّر الآخر قال له نفس الشئ. فتنهّد باخوميوس وقال: " إن الروح الشرير هو الذى أعاقكم حتى يسبب لنا حزناً؛ ولكن تبارك الرب الذى يهب الصبر والحكمة والفهم، فأنتم أيضاً ينبغى أن تتعلموا مما حدث أن تكونوا صابرين".

٧٣- " .. لأننى كثيراً ما سمعت الأرواح الخبيثة تخبر بأفعالها ضد الناس. فواحد منهم كان يقول: " أنا أذهب إلى إنسان غير مطيع لى، فحين أعرض له فكراً يقف فى الحال ويصلّى وهكذا أحترق وأنصرف من هناك". وشيطان آخر كان يقول: " إن صاحبى مطيع، إنا نصحته بشئ يستمع لى ويفعله، ولهذا أنا أحبه كثيراً! ".

لهذا ينبغى أن تحفظوا نفوسكم وترشموا علامة الصليب باسم المسيح، لأنكم إن قاومتم الأرواح الشريرة فلن تقوى عليكم ".

٧٤- ودفعة أخرى فيما كان يحدّث الإخوة بتعاليم نافعة، حدث أن انقبض قلبه بغتة وتوقف عن متابعة الكلام وتحقق فى نفسه لما ناحدث ذلك فاستدعى مدبّر الدير وقال له فى هدوء: " امضِ إلى هذه القلاية وأنظر

مَنْ هذا الأخ الذى يسئ إلى نفسه وكن شاهداً عليه كيف يؤذى نفسه أولاً بعدم مجيئه لسماع كلمة الله لكى يتقوى مقابل الروح الشرير الذى يضغطه ويجتذبه إليه ، وثانياً" لتوهمه عوض الصلاة ، حتى وإن لم يأتِ ليستمع إلىّ ، ولست أظن أن هذا الإنسان يمكنه أن يصير راهباً" . وهكذا لم يشأ ذلك الرجل أن يحمل الصليب بحسب قوته بل رحل عن الدير ومضى إلى والديه .

٧٥- وضرب لهم مثلاً قائلاً : " إن كان بيت به مائة حجرة ، واشترى إنسان من صاحب البيت حجرة واحدة منها ألا يمنع صاحب البيت من الدخول إليها وبالأخص إذا كانت حجرة داخلية ؟ هكذا أيضاً الإنسان المؤمن إذا امتلك كل ثمار الروح ، وباهماله ولمكيدة العدو تغرّب عن واحدة منها لن تكون له قوة تلك الثمرة مقابل العدو. وإذا لم يتيقظ فإن العدو يهزمه فى أمور أخرى وبهذا يجد العدو سلطة على الإنسان بكامله ويتركه خاليا" من كل شئ صالح . أما إذا استجمع ذلك الإنسان كل قواه فهو ليس فقط يعود ليمتلك الثمر الروحى الذى تغرّب منه بل ويحرز تقدماً" عظيماً" .

وليس للعبادة مقياس" واحد" بل مقاييس عدة .

فالبعض أراخنة أغنياء روحياً، آخرون قادة لعشرة، أو لخمسين أو لمئة أو لألف، وآخرون ملوك كاملون مثل إبراهيم الذى دُعى من قِبل الله ملكاً، ليس لأنه هو نفسه كان ملكاً، بل لأن ملك الملوك كان جالساً على عرش قلبه."

٧٦ - أرسل أحد الأساقفة إلى باخوميوس إنساناً بعلة سرقة ليحاكمه. وكان هذا الإنسان راهباً لابساً ثوب شَعر. وحدث فى ذلك الوقت أن أحد الإخوة يدعى "ماقوس" وهو شيخ لهيب وبسيط للغاية يعمل مدبراً لأحد البيوت، كان مريضاً ومغموماً فلم يخرج مع الإخوة لجمع البرى. وكان حزنه بسبب تعليم الليلة السابقة التى سمع أثناءها الأب باخوميوس يتكلم عن تحذيرات كثيرة للخلوص. وإذ كان ساخطاً على كلامه غير عالم بخبث العدو واحتياله على النفوس ظاناً أنه فى أمان، فقال فى نفسه: "لماذا ينصحنا الشيخ بتحذيرات كثيرة هكذا، هل نحن معرضون للسقوط هكذا فى كل وقت؟". ولهذا كان متوجعاً ونائماً فى إحدى القلالى. فلما رأى ذلك الإنسان قادماً أخبر تادرس، إذ كان هو المدبّر قائلاً: "اعتنِ بالرجل حتى يأتى أبونا لأنى أرى أنه انسان تقى وعظيم."

فلما أتى باخوميوس مع الإخوة تقابلوا جميعاً مع

الرجل . وبعد أن اعترف الرجل بخطئه أصلح باخوميوس حاله بإفرازه الروحانى ذاكراً له من الكتاب ما يأتى : " إننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا " . ولكن فلنصلِّ إلى الله الرحوم وهو يشفينا . ولنلاحظ أنفسنا من أجل المستقبل".

فلما سمع ما قوس الشيخ هذا الكلام تعجب من إفراز باخوميوس ، وعندما تحدث باخوميوس فى المساء اقتنع ومجّد الله .

٧٧ - وبعد بضعة أيام استدعى باخوميوس تادرس وقال له : " عند خروج الإخوة فى المساء سلّم خدمتك لآخر وتعال حيث نجتمع للتعليم كل يوم أحد." فلما جاء تادرس إلى موضع التعليم قال له باخوميوس : " قف هنا وسط الإخوة وتكلم إلينا بكلمة الرب مثلما كنت أفعل أنا " . فأطاعه تادرس على غير رغبة منه ، وبدأ يتكلم بما أعطاه الرب ، بينما وقف الجميع وباخوميوس معهم ينصت إليه كواحد منهم . فغضب بعضهم لسبب كبريائهم وعادوا إلى مساكنهم حتى لا يسمعوا لتادرس إذ كان بحسب الفكر البشرى ما يزال شاباً فى سنّه .

وبعد العظة والصلاة جلس باخوميوس كما هى عادته وبدأ يعدّثهم قائلاً : " قد سمعتم الموعظة . لمن

هى ؟ هل هى من عند المتكلم أم من عند الرب ؟ فبأى فكر غضب هؤلاء على هذا الأمر ؟ هل لكونه الأصغر ؟ عندنا ولد وبخصوصه يقول الرب : " من يقبل مثل هذا الولد باسمى يقبلنى ". ألم أكن واقفاً هنا منصتاً كواحد منكم ؟ بل أوكد لكم أننى لم أكن أتظاهر بالاستماع ، بل قد كنت بالفعل أنصت بكل قلبى كمن هو عطشان إلى الماء . لأن كلمة الرب هى بكل نوع "مستحقة كل قبول "، بحسب المكتوب . فيالشقاء الذين رجعوا إلى مساكنهم إذ قد حرموا أنفسهم من رحمة الله . وسوف يصعب عليهم أن يعيشوا إذا لم يتوبوا عن كبريائهم لأن الرب " قريب من المنكسرى القلوب ويخلّص المنسحقى الروح "

٧٨ - بعد ذلك أقام باخوميوس تادرس مدبّراً على دير طبانيسين لمّا تحقق من كفاءته ورجاحة عقله ، وكان عمره وقتئذ ثلاثين سنة . أما الأب باخوميوس نفسه فأقام فى الدير الكبير المدعو " بافو " حيث كانت إدارة سائر الأديرة .

وأما تادرس فرغم أنه تعين فى هذه الرتبة إلاّ أنه لم يكن كأنه قد تعين هناك ، إذ لم تكن له إرادة من ذاته . فقد كانت كلمة الله تلهبه وتشتّه لكل اهتمام

بالسمويات . وكانت كل غيرته منصرفة لحب الله بكل القلب حسب الوصية . وكان تقدّمه نافعاً للإخوة لأن كلمته كانت ذات نعمة عظيمة .

٧٩ ـ وكان هناك كورنيليوس ، بسنتاسيوس ، سورس . بسوئيس ، بيكيسيوس ، وباخوميوس آخر وبولس ويوحنا وبفنوتيوس وآخرون كثيرون ليس من الضروري أن نذكرهم ، هؤلاء كانوا أقوياء بالروح ، مجاهدي المسيح الحقيقيين .

وكان باخوميوس يلاحظ سيرة كل واحد منهم ، وقد رتّب أكثرهم رؤساء وآباء للأديرة . ومَنْ كان بعدهم في الرتبة الثانية وقد أحبوا الله : فقد كان منهم آباء ثيئوئيس الذي صار أباً لدير العذارى وكان قديساً مثل الأب يوحنا الذي سبق ذكره وكان فاضلاً مملوءًا من رأفات الله كما من شحم ودسم . وبعضهم لم يكونوا بالنساك العاديين ، فقد عاشوا سبعين سنة في الرهبنة دون أن يذوقوا الخمر ، لا في حالة صحة ولا في حالة مرض .

بل إن آخرين انطرحوا في المرض ولم يستجيبوا لرجاء الذين أرادوا أن يرفعوهم من مراقدهم لكي يضعوهم على أسرّة وقت نياحتهم حتى يمكن دفنهم كما يجب ،

ولكنهم بقوا كما هم وماتوا وهم مكومون (غير محددين) فوق مراقدهم الصغيرة. والكلام عن هذا الأمر ليس زيادة طالما أن تذكره ليس ضاراً.

٨٠ - وكان هناك راهب يدعى بطرونيوس. هذا ليس أنه ترك منزل والديه ولم يرجع إليه حتى أسلم روحه للرب فحسب، بل إنه في حياته استطاع أن يقنع جميع أفراد عائلته: الأب والإخوة والأخوات والأقارب والعبيد أن يأتوا إلى الدير، وأكملوا حياتهم هناك، وكان رقادهم كمثل مَن هم في نوم لذيذ.

أما "بسينيثوس" أبوه، الذي يستحق مديحاً أكثر مما نستطيع أن نقدمه له، فقد أحضر معه إلى الدير غنمه وماشيته وكل أنواع أدواته وأوعيته ومنحها للجماعة الرهبانية بيد أبينا باخوميوس، الذي بدوره سلمه دير "تيباو". وكان الإخوة بهذا الدير يعيشون تحت الأنظمة عينها التي بالأديرة الأخرى.

٨١ - وقبل أن يشرعوا في بناء الدير - وكانوا قد حصلوا على إذن بذلك من أسقف مدينة "پانوس" واسمه "أريوس"، الذي كان رجلاً أرثوذكسي المعتقد، ناسكاً وخادماً حقيقياً

للمسيح ، وكان قد تنسّم شذا رائحة جماعة الإخوة ، فاستدعى الأب باخوميوس وبكلام الله سأله أن يقوم ببناء أديرة حول مدينته .

فجاء باخوميوس مع الإخوة وأعطاهم "أريوس" أرضاً ، وهكذا قاموا ببناء السور . إلاّ أن بعض الناس الذين لم يعرفوا تدبير الله ، تحركوا بالحسد والحقد فكانوا يقومون بالليل بهدم مايبنونه . وبطول روح أبينا القديس أصلحهم الرب حيث وقف ملاك بالقرب منهم وكما لوكان بإصبعه قد أحاط السور بالنار. وهكذا كمُل بناء الدير .

وأقام له مدبّراً اسمه صموئيل ، رجلاً متعففاً ضابطاً لهواه متهللاً بالروح . وعيّن معه رجالاً آخرين أكفّاء بما أنهم كانوا قرب المدينة . وأقام عندهم زماناً حتى تثبّتوا وصاروا راسخين .

٨٢ - وجاء أحد الفلاسفة من المدينة إلى الدير لكى يختبرهم ويرى أى فئة من الناس كانوا . فقال لهم : " ادعوا لى أباكم لكى أتحدث معه " فلما سمع باخوميوس أرسل لهم كورنيليوس ليتباحث معهم .

فقال له الفيلسوف : " إن لكم سمعة حسنة كرهبان ورجال ذوى فطنة ويتكلمون بحكمة . مَنْ ذا الذى

يفكر أن يحضر زيتوناً ليبيعه فى "بانوس" مع أن المدينة بها وفرة منه ؟" أجابه كورنيليوس : " قد سُمع مرة أن زيتون بانوس ينتج زيتاً ولكنه لا يُملّح ، فنحن الملح وقد أتينا لكى نملّحكم ".

فلما سمع الفيلسوف هذا عاد وأخبر أصحابه. فأجابه أحدهم : " هل هذا هو كل ما تباحثت فيه معهم؟ سوف أمضى أنا وأختبر معرفتهم بالكتب ". فدعا الأب باخوميوس تادرس وأرسله لكى يواجه الرجل . وقد حكى لنا تادرس أنه ذهب وكان خائفاً من التباحث مع أحد الفلاسفة ، لأنه كان يعتبر كورنيليوس أكثر منه حكمة.

وسأله الفيلسوف فى أمر لم يصعب عليه أن يجد له جواباً : " مَن هو الذى لم يولد ومات ؟ ومَن هو الذى ولد ولم يمت ؟ ومَن هو الذى مات ولم ينتن ؟ فأجابه تادرس : " إن آدم لم يولد لكنه مات . والذى ولد ولم يمت هو أخنوخ . أما إمرأة لوط فقد ماتت ولكن لكونها صارت عمود ملح لم تنتن ". فلما سمع هذه الإجابة انصرف

وكان أيضاً بذلك الدير رجل قديس مقتدر بالروح يدعى " تالماس " عاش فى الجسد مثل أيوب لكما فى النار ، ومع ذلك كان مداوماً العمل والسهر فى الصلاة حتى نياحته.

٨٣ - وتسلّم باخوميوس تحت عنايته أديرة أخرى فاستلم أولاً الدير الذى يدعى « تاسى » ، ثم آخر فى « پانوبوليس » وفى « تيباو » ، و « تسمينى » . وبعد مدة من الزمان تسلّم ديراً آخر يدعى « بخنوم » بالقرب من « لاتوبوليس »

وهذه عملها باخوميوس الطوباوى وسكن الإخوة هناك وعيّن لهم آباء وقدّم المؤن لحاجتهم الجسدية. وكان « بافو » هو الدير الكبير الذى كان مدبّره هو الذى يهتم بكل ما قد يحتاجه الرهبان ، فكان يقوم بالعمل ويرتب أمورهم بتدبير إلهى كلما دعت الظروف .

وكانوا يأتون إلى الدير الكبير دفعتين فى كل عام. فكان الإخوة المعيّنون يأتون فى الفصح عند أبينا باخوميوس ويعملون البسخة معاً ويعيّدون معاً بالمحبة وبكلام الله. وكانت عادتهم أيضاً أن يجتمعوا معاً دفعة أخرى فى شهر مسرى ليقدّموا تقارير مفصلة مكتوبة عن أعمالهم للأقنوم الكبير. وإذا احتاج أب أى دير للمشورة فى أى أمر من الأمور كان يقدمها إليه . كما كان يقوم بتعيين مدبرى البيوت وغيرهم من المسئولين .

ومع كل هذا كان رجل الله يهتم بالزيارة بنفسه ليثبّت المضطربين بشتى أنواع الأفكار ويعلّمهم أن يقتنوا النصرة بتذكار الله . وكأن يأمر لهم بكل ما هو نافع لنفوسهم.

٨٤ - ومجاهد آخر يدعى " تيتويس " كان قد أعدّ نفسه للجهاد حتى الدم ضد الخطية . هذا كان مدبّراً لأحد المنازل بين مدبرى " فابو " الذين أقيموا ليعزّوا الإخوة المتعبين . وفى أحد الأيام بينما كان يعدّ الطعام وافاه روح شرير ليجرّبه ويغويه بالخطية لكى يأكل أولاً من الطعام المعد للمرضى ، إذ أن المؤمنين يمتحنون بالأكثر فى الجهاد ، وذلك لأجل مجد الله .

ولهذا لم يذهب تيتويس إلى المائدة ليأكل ذلك المساء ، وعزم أن يمد صومه ذلك اليوم إلى اليوم الثانى. ووقف يصلى وهو يبكى ويقول : " إننى مستعد يارب أن أصوم ليس فقط إلى أن أقتنى حبك ، بل بالحق لن أتخلى عن التعفف الذى هو فخر القديسين حتى ولو أسلمت للاستشهاد والحريق. أتضرع إليك أن تكمّل حياتى فى خوفك " . وهكذا انتقل وهو راهب مخلص تقى.

٨٥ - حدث فيما كان البربر يحاربون أن أخذوا أحد الرهبان من موضع آخر أسيراً . وإذ كان بعضهم يعدّون لكى يأكلوا قالوا له : " قم لكى تخدمنا ولكن اسكب أولاً تقدمة خمر للآلهة قبل أن نشرب " . وإذ لم يشأ ذلك كانوا على وشك أن يقتلوه . فمن خوفه سكب تقدمة الخمر. وبعد قليل هرب وجاء إلى الدير ، وأخبر الأب باخوميوس

بما حدث . فلما سمع منه ذلك حزن وقال له : « الإكليل قد أعدّ لك ولكنك لم تقبله ، لماذا لم تتقدم لكي تموت بشجاعة من أجل اسم ذاك الذي مات من أجلنا ؟ قد تكبّدت خسارة عظيمة . ولكن لئلا ينقطع رجاؤك بالجملة ، إذ أن الرب يؤثر توبتنا على موتنا ، فابكِ قدر قوتك ، ليس فقط بروح الانسحاق والاتضاع بل وأيضاً بتعب الجسد ، لكي يتحقق فيك كلام الكتاب : « أنظر إلى مذلتي وتعبي ، واغفر لي جميع خطاياي » (مز٢٤ : ١٨) . وهكذا انصرف الرجل فرحاً في الرجاء .

٨٦ - في أحد الأيام بينما كان باخوميوس في لمبا بنيسين ينسج حصيراً ، حدث أن أتى ولد لحضور الخدمة الأسبوعية بالدير . فلما رآه الولد ينسج قال له : « ليس هكذا يا أبتاه ، لا تلف الخيط بهذه الطريقة فأبونا تادرس علّمنا طريقة أخرى للنسيج » فقام باخوميوس وقال له : « حسناً يا ابني ، علّمني هذه الطريقة » . وبعد أن علّمه الولد إياها جلس يعمل وهو مسرور ، إذ أنه حتى في هذا الأمر كان قد لمح عنه روح الكبرياء . لأنه لو كان اهتمامه حسب الجسد لما كان التفت إلى الولد ، بل بالأحرى كان يزجره لخروجه عن حدّه في الحديث .

٨٧ - وتارة أخرى كان ينسج حصيراً فظهوله الشيطان بمنظر مدعياً "أنه المسيح . إلاّ أنه ليست للشياطين سلطة ولا قدرة ليس أن يظهروا لأى شخص فحسب بل ولا أن يعرضوا عليه أى فكر شرير بغير سماح من الله .

ولأن القديس كان يقتنى روح إفراز لكى يميز الفرق بين الأرواح الشريرة والقدوسة كحسب المكتوب . فكر فى نفسه قائلاً : " إذا كانت الرؤيا هى للأرواح القدوسة فهى تجعل أفكار الذى يعاينها تبطل تماماً " فلو يعود يرى شيئاً غير قدسية المنظر . والآن أنا أشاهد الرؤيا ومازلت أفكر وأتروى ، فالرؤيا إذاً كاذبة وغير مقدسة " .

فلما وجده الشيطان متفكراً فى الأمر بدأ يبدد عنه الأفكار . فنهض باخوميوس بإيمان المسيح وبسط يده كأنه يريد أن يمسك بالشيطان ، ونفخ فى وجهه فاختفى .

٨٨ - كان لتادرس عادة أن يجئ إلى "بافو" كل مساء بعد فراغه من عمله فى "طبانيسين" لكى يستمع إلى قراءات أبينا باخوميوس من الكتب ويعود ويخبر بها الإخوة قبل نومهم . واعتاد أن يعمل هكذا لزمن طويل . وحدث مرة أن جاء ولم يجده ، فصعد إلى سطح موضع

الاجتماع لكى يهذّ فى الفصول الإلهية التى كان سيحفظها عن ظهر قلب. وفيما هو يهذّ فيما تزلزل المكان، وتفكّر فى ذلك الأمر ونزل إلى موضع الاجتماع لكى يصلّى. فلما دخل لم يقدر أن يقف لسبب الخوف الذى ملأ المكان، وارتجف جسمه ومن الرعب الزائد لطفر خارج الباب وهو لا يدرى بما كان حاصلاً.

وعند الفجر بعد الصلاة وجد أبا باخوميوس مع الشيوخ القدماء على انفراد يروى عليهم ما حدث: "كادت إلاّ قليل أن تفارق نفسى، إذ أننى بينما كنت أصلى بالليل فى موضع الصلوات الجامعة، شاهدت رؤيا رهيبة. ومن الخوف الزائد صرت كأنى غير موجود. وطلبت إلى الرب لكى يثبت فىّ هذا الخوف وفى الإخوة أيضاً، إلى نهاية أيامنا، متذكراً الآباء الذين كانوا مع موسى بأسفل جبل سيناء، حيث كانت النار والأمور الأخرى المخفية. وفيما أنا فى تلك الشدّة دخل إنسان جرئ ونال رحمة فخرج مسرعاً. فأجاب تادرس قائلاً: "أنا هو ذلك الإنسان، لأننى لمّا لم أجدك فى المساء كنت على السطح أهذّ، ولما بدأ الزلزال تزلت لكى أصلى. ولما لم أقدر مضيت خارجاً".

فالذين سمعوا هذا تعجبوا وبالأكثر لأن باخوميوس كان متى رأى بإرادة الله شيئاً من الأمور

المخفاة عن الناس ، ماكان يكشف لهم إلاّ ماكان نافعاً لبنيان الإيمان . وبالحقيقة إن القديسين أفكارهم دائماً كمن هم في السماء .

٨٩ - وكان باخوميوس قد وضع لهم ترتيبات منذ قيام الشركة ، إلاّ أنه في طبانيسين حدث في المخبز أنه بينما كان الإخوة يعجنون ويشتغلون ، أخذوا يتحدثون في وقت التلاوة ، حيث كان الكلام ممنوعاً بحسب وصايا باخوميوس النافعة . ومع أنه كان بعيداً عنهم فقد تحقق بروحه أنهم خالفوا وصيته . فدعا تادرس الذي كان أباً للدير وقال له : « متى وجدت فرصة اذهب إلى المخبز واستعلم إن كان أحد الإخوة قد كسر وصيتي وتكلم في المساء » .

فسأل تادرس كثيرين ووجد أن البعض كانوا قد تكلموا فأعلمه بذلك . فقال الأب باخوميوس : « إنهم يعتبرون هذه أموراً بشرية ، ولكن حتى لو كانت الوصية تخص أمراً تافهاً ، فهي مع هذا تظل مهمة. فذلك الجمع العظيم أطاع الأمر وحفظوا الصمت مدة سبعة أيام وهم يدورون حول أريحا . وحين تلقوا الأمر بأن يهتفوا أطاعوا أيضاً وتمموا إرادة الله التي أوصاهم بها بواسطة إنسان . فالذين خالفوا الوصية

ينبغى لهم ، على هذا المثال ، أن يحرصوا فى المستقبل فيصفح لهم عما حدث . لأنه لو كانت هذه الوصية غير نافعة للنفس لما كنت أوصيتهم بها .

٩٠- وذات يوم استفسر تادرس منه بخصوص ألم فى رأسه . فأجابه باخوميوس قائلاً : " أتظن أن المرض والشدائد الأخرى تأتى بدون مشيئة الله ؟ فاحتمل ومتى أراد الله هو يشفيك . فإن كان يختبرك بعض الوقت فاشكره كما فعل أيوب الكامل الذى كان يصبر على كل ما يصيبه ويبارك الرب قائلاً : " ليكن اسم الرب مباركاً " . لأن من يحمل الصليب وإن كان يتألم بطريقة أو أخرى ، فالصليب وجهاد النسك يكفيه . والمريض يمكنه أن يجاهد من أجل المعافى وذلك من خلال صبره وثبات نفسه . ومثل هذا الإنسان إكليله مضاعف . وجيد هو لمن يتألم أن يحتمل المرض مدة عشرة سنوات دون أن يقول شيئاً . فلما سمع تادرس هذا الكلام تقوّى .

٩١- وطلب باخوميوس من تادرس أن يطوف بالأديرة ليفتقدها ويلاحظها . وتكلم وسط الإخوة قائلاً : " أنا وتادرس نخدم الله خدمة واحدة ، وله السلطة أن يأمر كأب " .

فكان إذا جاء إلى الأديرة تبتهج نفوس الإخوة برؤيته لأنه كما سبق أن قلنا كانت عليه نعمة عظيمة من الرب . أما أبونا باخوميوس فكان كاملاً في كل شئ ، إلاّ أنه كان مهوباً ، نوّاحاً ، دائم التحدث عن عذاب النفوس لحديثه مثلاً عن مثل الغنى . وكان كثيراً إذا ما عطش جداً من الحرّ وأخذ الجرّة ليشرب ، ما كان يشرب إلاّ ما يكفى ليطفئ عطشه فقط .

٩٢ـ حدث مرة فيما هو فى دير تادرس أن أحضروا إليه أخاً وقالوا عنه أنه سرق شيئاً . وكانوا يقصدون أن يطردوه (باخوميوس) من الدير . إلاّ أنه لم يكن هو الذى سرق بل آخر لم تتجه إليه الشبهة لأنه كان موثوقاً منه ، أما الأول فكان ذا طبع خشن لهذا ارتابوا من جهته .

أما الذى سرق فإذ تحقق أنه بالإضافة إلى الخطية التى فعلها عرّض إنساناً آخر للخطر بسببه ، أخذ تادرس على انفراد وقال له : « أنا هو المذنب » . فأجابه تادرس : « قد أخطأتَ ، ولكنك أعتقت نفسك بانقاذك الإنسان البرئ من الاتهام » ثم دعا الرجل الأول وقال له : « أنا أعلم أنك لست مذنباً ، ولكن مع أن الإخوة أحزنوك رغم براءتك إلاّ أنك ولا

شك مديون" للرب فى أمور أخرى ، لهذا قدَّم له الشكر والمخافة ".

وبخصوص الآخر قال للإخوة : " ألم تقدموا لى هذا الأمر للحكم ، قد علمت أن مشيئة الرب هى أن نغفر له ولا نعود نذكر هذا الأمر أبداً" ، فنحن جميعاً نحتاج إلى الرحمة".

٩٣- سمع تادرس مرة فى الهواء أصوات مرتلين بأنغام عذبة وشجية ، فسأل الأب باخوميوس : "هل تسمع ياآبا؟" فأجابه : " نعم". فقال له تادرس : " وماهو هذا ؟ " فأجابه باخوميوس : " حدث أن نفساً فاضلة وهى فى طريقها إلى السماء قد جازت من فوقنا ، وأُنعم لنا بعض الوقت بسماع الذين يرتلون ويمجدون الله أمامها . ".

ودفعة أخرى كانا جالسين حول أخ ينازع وقد دنت وفاته ، فكشف لهما الرب كيفية خروج النفس من الجسد . ولم يشاءا أن يطلعا أحداً على مثل هذه الأمور مدة حياتهما لأنها أسرار . إلاّ أن الإخوة الكبار الذين كانوا معهما أحسوا أنهما يتطلعان بدهشة وسكون نحو بعض القديسين الذين كانوا حاضرين ساعة أسلم ذلك المريض روحه .

وأحياناً كانا يفسران جانباً مما قد ينظرانه بحسب مشيئة الله مترجين أن يكون من ذلك بعض المنفعة فى المستقبل . لأن الأب باخوميوس كان يعلّم أنه لا ينبغى للإنسان أن يستسلم للفكر الذى يشتهى أن يرى شيئاً من الأمور غير المرئية ، لأن الأمور غير المرئية مملوءة دهشاً وخوفاً لمن يفحصها أو يسمعها .

٩٤ - وآخر يدعى تادرس ، قارئ ناسك من كنيسة الإسكندرية . هنا سمع عن القديس باخوميوس والإخوة فصعد فى مركب وجاء إلى طيبة . وقد كان تقياً مطيعاً كأحد رعية الرب ، فقبله باخوميوس ورتب سكناه مع أحد الإخوة القدامى ممن يعرفون اللغة اليونانية لكى يعزّيه وحتى يمكنه أن يسمع ويتعلم لغة الصعيد . فأظهر تقدماً غير عادى فى جهاد النساك .

أما عن أرشوذوكسيته فقد كانت ظاهرة إذ كان قريباً لينبوع يفيض لحياة أبدية ، فكان يرتوى منه ويأتى بثمار ، نعنى به رئيس الأساقفة ، ليس لأن المغبوط أثناسيوس هو الذى كان رئيس الأساقفة فى ذلك الحين فحسب ، بل ولأن (الأسقف) الذى كان يجلس على كرسى الرئاسة الكهنوتية لم يكن يشغله

لنفسه بل لذاك القائل أنه يكون وسط اثنين أو ثلاثة يجتمعون باسمه ؛ أى (لحساب) المسيح ابن الله الحى الإله المتأنس ، أساس وحجر زاوية الكنيسة .

٩٥- ولحسن صبره وجَلَده على الحياة أحبّه أبا باخوميوس وجاهد ليتعلم اليونانية بنعمة الله ليعرف كيف يقدم له العزاء على الدوام .

وبعد ذلك أقامه مديراً لبيت الاسكندرانيين والإخوة الأجانب الذين أتوا بعده ، فكان بيته ممتلئاً من التقوى . وكان القديس باخوميوس يشترك معه فى أعمال كثيرة لكى يعتاد على قيادة الناس ويقول له : "إنه لشئ عظيم ! إذا رأيت أخاً من بيتك مهملاً خلاصه ، أن تعظه بطول أناة على انفراد ، وإن هو غضب أتركه يمضى إلى أن يحركه الله للتوبة . فكما إذا أراد إنسان أن يخرج شوكة من قدمه ، إذا حفر حولها وحدث نزف وألم فإنه يتركها قليلاً ، ويضع فوقها دهناً مرطباً أو ما أشبه فمن بعد أيام قليلة تخرج هى من ذاتها بسهولة " .

" .. فالإنسان الذى يغضب ولا يحتمل التعليم فى الوقت المناسب يحصل على فائدة أعظم من خلال صبر الذى يعلّمه بحسب الناموس . وإن كان الخطأ كبيراً"

أطلعني عليه، وبحسب مشيئة الرب المرحوم أتصرف. وأهتم كذلك بالمرضى كما بنفسك. وكن متعففاً حاملاً الصليب أكثر منهم بما أنك في مرتبة الأب. ولتكن أنت أول من يحفظ قوانين الإخوة لكيما يحفظوها هم أيضاً. وإن صادفك أي أمر آخر تريد أن تميزه ولا تعرف أخبرني به. وبنعمة الله إذ نتعاون معاً نصل إلى معرفة كنه وحقيقة كل أمر".

وكان كلما أعطى باخوميوس تعاليم للإخوة، يترجمها تادرس للذين لا يعرفون اللغة القبطية. وقد خدم كمدير لأحد البيوت مدة ثلاث عشرة سنة قبل نياحة باخوميوس الطوباوي. وكان باكورة ثمار هذا البيت من الاسكندرانيين الذين هم: أوسونيوس الكبير وأوسونيوس الصغير المدعو ناون، وأيضاً حاملو الإله الروميون: فيرمس وروميليوس، ثم دومينينوس، وأرمانيوس، وقديسون آخرون. فبعضهم أدرك الكبير في حياة الجسد وبعضهم لم يدركه.

٩٦- توجه أبونا مرة إلى طبا بنيسين لأجل حاجة روحية. ولما سلم على الإخوة جلس كعادته ليعلمهم عن جميع أنواع تدابير حراسة النفس للخلاص من العدو، وكان يحدثهم ليس فقط عن طهارة الجسد، بل وعن الأفكار

المتنوعة ، مثل شهوة الرئاسة والكسل ، وكراهية الأخ ، ومحبة الفضة ، فقال :

. كما أن النار تنقى من كل شائبة وتعيد للأشياء هيئتها ، هكذا أيضاً مخافة الله تذيب من الإنسان كل أنواع الرذائل وتجعله إناءً للكرامة ، مرضياً لله ، ونافعاً للأعمال الكريمة ، ومستعداً لكل عمل صالح . وإذا لم ينتبه الإنسان للتجديف الذى يلقيه فيه العدو ولم يداوم السهر ، ولا أخذ مشورة الحكماء ليتعلم كيف يغلب خداعه ، فإنه يهلك رغم حبه لله . فكثيرون قتلوا نفوسهم : أحدهم طرح نفسه من فوق صخرة وهو فى ذهول ، وآخر شق جوفه بالسيف ومات ، وآخرون بطرق أخرى .

فخطأً عظيم هو أن لا يعترف الإنسان بوجعه لمن كان خبيراً قبل أن يصير الوجع مزمناً . والرب قد عرّفنا بالإفراز الروحى بدوائه : فإذا أنا أحزنت رفيقى وتوجّع قلبى لأن كلمة الرب تبكتنى ، فلم أجد راحة ما لم أُرضِه سريعاً . فكيف أميل إلى تجاديفكم أيها الأبالسة الأنجاس المنافقين ضد إلهى وخالقى ؟ فلن أستسلم للهزيمة ولو لم تكفّوا عن بث تجاديفكم حتى ولو تقطعتم إرباً إرباً . فهذه الأمور هى لكم وليست من عندى ، ومن أجلها سوف تعاقبون بالنار التى لا تطفأ

إلى الأبد . أما أنا فلن أكف عن التمجيد مرتلاً التسابيح، وشاكراً الذى خلقنى من العدم . ولن أكف عن لعنكم بما أنكم ملعونون من الرب ». فإن قلتم ذلك بإيمان فسوف تختفى أفكار الشيطان كالدخان .

٩٧ـ « أما عن سبب مجيئى اليوم ، فالذى كنا نبحث عنه وجدناه فى قدر خزفى ». قال ذلك مثل لغز عن خطية أحد النفوس . وفيما الأب باخوميوس يتكلم ، كان أخ يدعى إيليا حاضراً وهو إنسان بسيط القلب . هذا كان قد جنى مبكراً خمسة ثمرات تين وأخفاها فى قدر خزفى ليأكلها بعد الصوم. فلما سمع عن القدر مضى فى الحال وأحضر القدر وسط الجماعة وقال لباخوميوس : « أؤكد لك يا أبا أنه لولا تعاليمك ما احتملت التجربة ». فذهل باخوميوس مع الإخوة لأنه لم يكن يتحدث عن هذا الأمر .

وقال لهم : « قد تحققتم الآن أننا نرى الخفيات لأجل خلاصنا ، وليس ذلك متى أردنا بل متى شاءت عناية الله . وعلى سبيل المثال ، أنا لم أكن قد عرفت أو سمعت شيئاً من أى إنسان عن هذا الأمر الصغير . ولكن الرب لم يشأ أن يصير ذلك الأخ عبداً للطعام وهكذا أظهر لنا كيف نصلحه ».

وإذ كان مسرعاً ليعود إلى بافونهض وصلّى مع

الإخوة ومضى دون أن يذوق طعاماً.

٩٨- كما سبق أن قلنا إننا نكتب هذه الأمور رغم أننا لم نَرَه بأنفسنا بالجسد، ولكننا فيما بعد رأينا أولئك الذين كانوا معه زماناً طويلاً ويعرفون هذه الأمور بتدقيق، وقد أخبرونا بها بالتفصيل.

وقد يقول قائل: "لماذا لم يكتبوا هم بأنفسهم عن سيرته؟". وجوابنا هو أننا لم نسمعهم يتكلمون كثيراً عن الكتابة مع أن الذين كانوا معه كانوا أكثر تشبهاً بالأب. وعذرهم في ذلك أنه لم يكن لديهم وقت كافٍ. ولما تحققنا نحن أن الكتابة لازمة وضرورية حتى لا ننسى ما سمعناه عن أبينا الراهب الكامل بين جميع القديسين، كتبنا قليلاً من الكثير الذي سمعناه. وقد فعلنا ذلك لا لكي نمدحه، إذ أنه ليس في حاجة لمديح الناس، إذ هو الآن في رفقة آبائه حيث المديح الحقيقي.

وقد سمعنا عنه أنه حين كان في الجسد كان يصلّي دائماً، ومع هذا لم يكن يعتبر نفسه أهلاً حتى أن يطلب من أجل نفسه؛ ولهذا كان يلجأ إلى القديسين ليكونوا هم شفعاءه قائلاً، "أنتم يا من صرتم أهلاً لله اطلبوا من أجلي أنا الخاطئ"، فهو

لم يكن واحداً من الأنبياء أو البطاركة أو الرسل، بل ابناً حقيقياً لهم مثل جميع الناس في كل مكان. لأن دم ربنا يسوع المسيح قد طهّر الأرض كلها ومازال يطهرها. وعوض الشوك والحسك ملأها وأغناها بمعرفته الإلهية.

٩٩- كثيراً ما كان الآب باخوميوس يتحدث إليهم بكلام الله، فالبعض ممن سمعوه وكانوا يحبونه جداً، كتبوا الكثير من تفاسيره للكتاب المقدس. كما كان إذا رأى بحسب مشيئة الله منظراً أو رؤيا، أخبر الإخوة القدامى به على انفراد لينفع إيمانهم من السماع. فالرب دائماً يمجد خدامه كما كلم موسى قائلاً له: «فيؤمنوا بك أيضاً إلى الأبد» (خر ١٩: ٩).

وقد تعلّمنا بمرور الزمن أن ليس الجميع قادرين أن يؤمنوا. والراهب بالأولى يجد صعوبة كبيرة حتى ولو كان سائراً في طريق القديسين كالمكتوب «كونوا متمثلين بي» (اكو٤: ١٦). ولأن الطريق المفتوح أمام الجميع لهذا جمعنا هذه الكتابات لكي نستفيد منها دون أن نخسر شيئاً. ونحن نعلم بالتأكيد أنه حتى الآن أيضاً يقول الله: «أنا أمجد الذين يمجدونني». ونعلم أيضاً أن مزموراً واحداً يكفينا ولاسيما أن الرب نفسه يقول: «أنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨).

ولكن الآن قد صار في كنيسة الله رتب كثيرة من الآباء : أولاً الأساقفة ثم القسوس والشمامسة، وآخرون بعدهم ، وأيضاً الرهبان « طوبى لجميع خائفي الرب » (مز ١٢٧ : ١)

وإن كان الناس لم يكتبوا عن سيرة كل إنسان كامل، إلا أنها قد كُتبت عند الرب . ونحن لم نكتب لمجرد الكتابة بل من أجل التذكار ، كما كتب الآباء الأساقفة القديسون رسائلهم للمنفعة . فسيرة الطوباوي أنطونيوس مثلاً ، كتبها أبونا المغبوط أثناسيوس كطلب الإخوة ، لأجل منفعة الرهبان والإخوة الذين في الخارج . وهو بدوره استند إلى المصادر الرهبانية المطلعة وكتب بدقة . ونحن لسنا نُشبِّه أنفسنا بهذا الرجل القديس العالي المقدار كوننا خطاة ، بل كأولادٍ أخذتنا الغيرة أن نحفظ تذكار الآباء الذين سبقونا .

وقد كان أبونا باخوميوس - إذ كان بعد حيّاً - يملي ما يكتب ليس فقط التقارير والتنظيمات الخاصة بمباني الكمونيون ، بل ورسائل كثيرة لآباء الأديرة . وكان يستخدم في هذه الرسائل الحروف من ✶ إلى ✶ كرموز للغة روحية سرّية كانوا يفهمونها بحكم تدبيرهم للنفوس . وكان يفعل ذلك إذا لم يسمح له الوقت بزيارتهم؛ لكي بإرشادهم بحروف ولغة ذات مغزى يستطيع أن

يقودهم بالصواب إلى الكمال واستحقاق أن يكونوا هم أنفسهم رسائل مكتوبة بحروف روحية. وقد نسخ هؤلاء الروحانيون هذه الوثائق.

١٠٠- وكان في دير بافوعشرة إخوة قدامى، أما بحسب الجسد فكانوا أتقياء، لكنهم كانوا يتبرمون بأقوال باخوميوس وما يصغون له بإيمان. وإذ كان رجل الله طويل الروح ومحب للنفوس، لاسيما الذين تعب في نصحهم ووعظهم زماناً، لم يشأ أن يهملهم. فأسلم نفسه لأجلهم للنوح أمام الله، وذلل بالصوم نفسه، وبالامتناع عن الأكل ستة أيام (في الأسبوع) وعدم النوم لأربعين ليلة حتى انحل جسمه وضعفت قوته جداً. فاستمع الرب لطلبته، حتى أن كل واحد منهم على قدر قوته أحس أنه قد شفي من زلته. وعلى هذه الصفة رقدوا.

١٠١- وكان أحد الإخوة قوياً بالروح متمثلاً بصبر باخوميوس بكل غيرة. وفيما كان يصلي لسعته عقرب في قدمه، فوضع قدمه الملسوعة على العقرب وصلى قائلاً إن لم يشفني الله فمن يشفي؟

وفي البداية إذ كان يختبر قدرته على احتمالها، زاد الألم المتسبب عن السم ووصل إلى قلبه واشتد

عليه جداً حتى كاد عن قليل أن يسلّم روحه . ولكنه غلب هذه التجربة بصبره على الألم وبنفس جَلِدَة ، إلى أن حان وقت الصلاة .

١٠٢- حدّثهم أبا باخوميوس فى أحد الأيام بخصوص رؤيا وقال : « رأيت مرة وإذا بموضع كبير به أعمدة كثيرة . وكان به أناس كثيرون لا يجدون طريقهم إلى الخارج . البعض منهم لكى يخرجوا إلى النور كانوا يدورون حول الأعمدة ظانين أنهم قطعوا مسافة طويلة . وكان صوت من كل ناحية يقول : « أنظروا هوذا النور ههنا ! » فكانوا يرجعون لعلهم يجدون النور . وإذ يسمعون الصوت مرة أخرى يعودون ثانية من حيث بدأوا . وهكذا كان شقاؤهم بالغ الشدة . ثم رأيت مصباحاً يتقدم أمام كثيرين منهم ، وأربعة رجال منهم فقط هم الذين كانوا ينظرون النور أما الباقون فكانوا يتبعونهم ممسكين بأذرع بعضهم البعض لئلا يتوهوا فى الظلام . وكان إذا ترك الواحد منهم (ذراع) الذى يتقدمه يضلّ هو وجميع الذين يتبعونه . وإذ رأيت اثنين منهم قد تخلّوا عن اتباع الذين قدامهم صرخت إليهم : « اتبعوا السائرين أمامكم لئلا تهلكوا أنتم والآخرون . » وكان المصباح يتقدمهم فى الطريق فالذين تبعوه صعدوا من النافذة إلى النور » .

فلما رأى هذه الأمور أخذ بعض الإخوة وأخبرهم بها على انفراد. ومن بعد زمان كثير سمعنا منهم تفسيرها: هذا العالم هو موضع مظلم بسبب الضلالة، فكل هرطقة تظن أنها تسير على الطريق المستقيم. أما المصباح فهو الإيمان بالمسيح، الإيمان الذى يخلّص الذين يؤمنون باستقامة ويهديهم إلى ملكوت الله.

١٠٣- حدث أن مات أحد الإخوة فى الدير. وبعد أن دفنوه لم يسمح للإخوة أن يرتلوا أمامه عند الجبل كما هى العادة، ولا حتى أن يقدموا تقدمة من أجله. كما أنه جمع ملابسه وأحرقها وسط الدير منذراً الجميع ألا يحتقر أحد حياته. ولسنا نعرف كيف احتمله حتى مات، ولكننا نعلم أن رجال الله لا يعملون شيئاً نهاراً على الإطلاق. فرأفاتهم وصرامتهم هى بحسب معرفة الله.

١٠٤- وكان هناك ولد اسمه "سلوانس"، هذا كان أبونا باخوميوس قد أعطاه وصايا قبل أن يقبله بالدير. لكنه بعد قليل صار مهملاً وعكف على المزاح والضحك. فدعاه وقال له: "ماهى الوصايا التى أوصيتك بها؟ أما تعلم أنه أمر عظيم أن تصير راهباً؟ وقد أوضحت لك عند الباب أن تتبصر لنفسك وترى إن كنت لا تقدر أن تقتنى ما يؤهلك

أن تكون راهباً ، وقد قررتَ أمام الله أن تكون كذلك .فالآن لماذا لم تهتم بنفسك بدلاً من أن نطلق العنان لقلبك، إن كنت حقاً تشتاق إلى الحياة الأبدية ؟ فإن كنت لا تريد أن تبقى فى مخافة دينونة الله، قم إذاً ولا تمكث هنا بعد الآن ، بل اذهب إلى والديك ! "

فلما سمع الولد هذا الكلام بكى بمرارة .ولم يشأ أن يعود إلى الحياة العلمانية ،وتوسل إليه ، وتعهد أن تصير راهباً بحق .

وعند ذلك رقَّ له باخوميوس ودعا الراهب الفاضل "بسينامون" وقال له فى غيبة الولد : " أنا أعلم أنك لزمان طويل وأنت تتعب فى جهاد النسك،ولكن من أجل الله خذ هذا الولد ، واشترك معه فى التعب والجهاد فى كل شئ حتى يخلص ، فأنت ترى أنى منشغل جداً مع الإخوة . "

١٠٥- فكانا كلاهما ، (بسينامون وسلوانس) يعملان معاً الحصير، ويكملان صومهما وصلواتهما على ما يجب . وكان يطيع ما يأمره به فى كل شئ ، إلى حد أنه ما كان يأكل ورقة خضراء بدون سؤاله . وصار متواضعاً وديعاً جداً ، فلم يكن يفتح فمه أو يرفع عينيه إلى أحد . وكان صارماً فى نسكه ، يحفظ صلوات الأسهار لكى يتعب نفسه فى

الصلاة ثم يجلس وسط قلايته يضفر (أو ينسج الحصير) أثناء الليل فكان يغلب عليه النوم وهو على هذا الحال. وباختصار فقد صار رجلاً "حيا".

وفي أحد الأيام فيما كان الإخوة جالسين بدأ باخوميوس يخاطبهم قائلاً: "يوجد بيننا إنسان لم أرى مثله قط منذ أن صرت راهباً". فكما يصبغ الصوف الأبيض بالبرفير الكريم الذي لا يبهت لونه أبداً؛ هكذا نفس ذلك الإنسان قد اصطبغت بالروح القدس. وهو إن سمع شهادتي هذه وعرف أنها تخصه لا يسر بذلك أما إذا وُجِّه إليه اللوم فما يحزنه ذلك، بل يظل هادئاً بغير اضطراب".

أجابه تادرس قائلاً: "عرِّفنا يا أبا بهذا الإنسان، وهل يكون أعظم من بطرونيوس وكورنيليوس؟" فقال له باخوميوس: "لماذا تذكر أسماء الآخرين. بل هو أعظم منك أنت أيضاً! أما من جهة السن والجهاد والمعرفة، فأنتم جميعكم آباء له. وأما بالنسبة لاتضاعه العميق ونقاوة ضميره فهو أعظم. فأنتم جميعاً قد قبرتم الوحش الذي كان يثير الحرب عليكم وطرحتموه تحت أقدامكم، فإن أهملتم، ينفك ويقوم ضدكم مرة أخرى. أما سلوانس فقد قتله تماماً!".

وبعد أن جاهد سلوانس على هذه الحال مدة سبع سنوات أدرك راحته النهائية بفرح عظيم

وهكذا بقدر ماكان الإخوة يباركون مآثر بعضهم البعض ، هكذا كانوا يتقدمون . وبالأكثر إذا كانوا يرون قدامهم إنساناً قوياً بالروح (مثل أبا باخوميوس) يسكن فيه المسيح .

١٠٦- وكان تادرس - كما سبق أن ذكرنا - قد تعيَّن معزّياً لنفوس الإخوة الذين أتوا بعده . وحدث بعد سبع سنين أن واجه جهاداً عظيماً أتى عليه من قِبل الرب لامتحانه . لأنه لمّا مرض أبا باخوميوس أحالَه به الآباء المتقدمون ورؤوس الأديرة وقالوا له : " لربما يفتقد الرب أبانا ويتركنا فى شقاء ، وإذ ليس بيننا من يَعرف جميع طرقه مثلك . فنلتمس منك أن تتعهد بهذا أنه إذا حدث ذلك لاتهملنا ولا ترفض أن تخلفه لكيلا تتشتت الإخوة ". وبعد أن امتنع تادرس مرات كثيرة ولم يقبلوا منه ذلك أعطاهم وعداً .

فلما سمع أبا باخوميوس ذلك لم يسرّه الأمر ، ودعا جميع مدبّرى الأديرة : سورس ، بسنتايس ، بفنوتيوس ، كورنيليوس ، وتادرس نفسه وقال لهم : "هلمّ فليعترف كل منا بنقائصه ، ولأبدأ أنا أولاً بنفسى فأقول إننى أهملت زيارة الإخوة وتعزيتهم لأننى كنت دائماً

أثناء النهار أعمل فى الحقل فى الجزيرة مهتماً بقوت الإخوة - لأنه كانت مجاعة فى ذلك الحين - وأنت يا تادرس قل ما عندك ".

أجاب تادرس وقال : " قد أقمت سبع سنين وأنت ترسلنى لافتقاد الأديرة وأعطى الأوامر من أجل كل شئ مثلك ، ولم يصعد على قلبى قط أن درجتى هى من بعدك. والآن يقلقنى هذا الفكر ولم أستطع أن أغلبه بعد ".

حينئذ أجابه باخوميوس : " حسناً " ، من الآن ليس لك سلطة على أى شئ ، اعتزل وحدك وصلِّ إلى الرب لكى يغفر لك ". وهكذا نهض تادرس وهو حزين جداً ، ومضى إلى قلايته ليبكى فى السكون من أجل نفسه نائحاً " بألم عظيم . وكان خائفاً لئلا يرد الله وجهه عنه لكونه أحزن خادم الله . لأن تادرس كان يعتبره كاملاً وبلا عيب .

١٠٧ - وقد أمضى سنتين فى التوبة ، وكان أكابر الإخوة خلالهما يعزّونه دائماً لأنهم لم يكونوا يعتبرون ما حدث من جانب تادرس كأنه خطية بل مجرد فكر أنه بعد باخوميوس فى الدرجة . ولكن أبا باخوميوس بالطبع كان يريد من وراء عقابه له أن يجعله كاملاً ومتحرراً من كل شهوة للرئاسة .

وكان تادرس قبل اعتزاله قد طلب منه قائلاً : " لأن لى حاجة لأعملها فى دير مونخوسين ، اسمح لى أن أمضى وأعود سريعاً ". فسمح له أن يمضى وحده . فكان يبكى فى الطريق قائلاً : " يارب هل بقيت لى توبة ؟ ".

ولما وصل إلى المعدّيه تجاه " شينوبوسكيا " ركب فيها . وكان فى المركب شيخان ، فابتدأ أحدهم يمدح تادرس قائلاً للآخر : " هذا الراهب لوباوى " . فأجابه الآخر : " لماذا تعتبر إنساناً فقيراً شقياً مطوباً "؟ فهو ما وصل بعد إلى حد الكيل بالمرجونة ". فسأله الأول : "وما هو هذا المكيال ؟"

فأجابه الثانى قائلاً : " كان هناك فلاح قاسٍ إلى درجة أنه ما كان أحد يستطيع أن يدوم فى العمل معه لسنة كاملة . فتقدم إليه إنسان وقال له : " أنا أقدر أن أعمل معك " فأجابه الفلاح : " حسناً جداً ". فلما حان وقت سقى الحقل قال له : "هلم نسقى الحقل ليلاً وليس نهاراً " فأجابه الرجل ، "هذا من الحكمة . فبهذه الطريقة لن يشرب من القناة إنسان ولا حيوان أو طير " . ولما بلغ أوان الحرث قال له الفلاح " فلنزرع حقلنا هكذا : خطاً قمحاً وخطاً شعيراً وآخر عدساً وآخر فولاً وبقية الخطوط على هذا النظام " . أجابه الرجل ، "وهذا الرأى أيضاً أعظم من سابقه ،

لأن زرعنا بذلك سوف يبدو جميلاً من تنوع أزهاره".

فلما نمت النباتات ولم تعطِ بذوراً بعد، قال الفلاح للرجل، "هلم نذهب لنحصد". أجابه ذاك: "لنذهب، إن في ذلك لمنفعة عظيمة فالتبن سيكون أخضراً وجميلاً". وبعد الدرس طلب الفلاح من الرجل أن يحضر المرجونة قائلاً له: "بهذا المكيال سوف ننقل التبن داخلاً"، أجابه الرجل: "لقد فاق هذا الرأى فى حكمته كل ما سبق من أفكار، لأنه بذلك يحفظ التبن من الضياع".

فلما امتحنه الفلاح فى كل هذه الأمور ووجده مطيعاً له طاعة بغير فحص قال له: "من الآن لن تكون أجيراً عندى، بل ابناً ووارثاً لى".. ولهذا إن كان هذا الإنسان الحاضر معنا (يقصد تادرس) يكيل بالمرجونة فهو يقدر أن يدرك الغبطة والتطويب".

١٠٨- فقال له الشيخ الأول، "مادمت قد أتيت بمثلٍ، الآن أعلمنا بتفسيره". فقال: "الله هو الفلاح، وقساوته هى كونه يأمرنا أن نحمل الصليب ولا نتبع أهوية قلوبنا، وباخوميوس أبو هذا الإنسان صار مُطيعاً لله فى كل شئ ومرضياً أمامه جداً. فإن صَبر هذا على مثاله فسيصير وراثاً له".

فلما سمع تادرس هذا تقوّت عزيمته ، وكان يتعجب من هذه الأقوال ومن قائليها . ومن بعد خروجه من المركب لم يَرهما ، لأنهما كانا ملاكين مرسلين من الله ظهرا له ليصلحا حاله ويعزياه . وقد شهد بهذا أبّا باخوميوس فيما بعد .

ثم عاد تادرس إلى دير بافو وهو يتأمل فيما سمعه فتعزى . وقد كان حزنه ليس بسبب ما لحقه من توبيخ ، بل لكونه تنازل مع هذا الفكر ، ولاسيما أنه كان قد سمع أبّا باخوميوس يقول : « كما أن الميت لا يستطيع أن يقول لأموات آخرين إنه رئيس عليهم ، هكذا لم يخطر بقلبي قط أنني أب للإخوة . فالله وحده هو أبونا » .

١٠٩- وبعد ذلك تقدم زكاوس الذي كان قائماً بخدمة الإخوة إلى الأب باخوميوس يطلب إليه من أجل تادرس قائلاً : « إن تادرس قد أضرّ بعينيه من البكاء ، أتريد أن آخذه معي في المركب إلى الإسكندرية ؟ أجابه باخوميوس "خذه" .

وكان سلوك تادرس فوق المركب وفي كل مكان آخر مثل مبتدئ ، وكإنسان صار راهباً منذ أمس فقط . وقد تزين بالوداعة والاتضاع العظيم . وقد شهد الأب باخوميوس

عنه فيما بعد أن الله قد زاد تادرس سبعة أضعاف تقدمه الأول .

١١٠ـ أما الأب باخوميوس فكان أكثر اتضاعاً من الجميع . وكما قلنا ، كان يخضع لمدير الدير . فكان مثل أرض جبلية متواضعة (تث١١:١١) . وفي وقت العظة كان يقف منصتاً مع بقية إخوة الدير . فحتى ثيابه كانت في عهدة مدير الدير . وباختصار لم يكن له سلطة أن يأخذ أي شيء من مدير الدير من أجل إشباع حاجة جسدية ، لأنه كان يخاف من العذاب الأبدي الذي يكون بسبب التغرب عن الاتضاع وحلاوة ابن الله ربنا يسوع المسيح (مت١١:٢٩)

١١١ـ وفي أحد الأيام حين خرج الإخوة بعد الأكل عند الباب لكي يأخذوا جذور اللوتس كما هي عادتهم ، أتى باخوميوس أيضاً ليأخذ نصيبه . وفيما هو منصرف إلى البيت أخذ تادرس الإسكندراني كذلك نصيبه وتبع باخوميوس . ولما دخلوا إلى البيت وجلس سأله تادرس قائلاً : " سمعت عن الأب كورنيليوس أنه ضابط لنفسه جداً ، وأنه خلال الصلوات لا يدع عقله يطوف جائلاً . بينما جاهدت أنا أن أحفظ عقلي متيقظاً وبصعوبة استطعت أن أتلو ثلاث صلوات وأنا ضابط لأفكاري ،

فكيف يمكنني أن أنصت لكلام الله وأصلّي بدون تشتت ؟ » .

حينئذ قال له باخوميوس مثلاً : « إن العبد إذا رأى إنساناً حراً ولو كان فقيراً أراد أن يكون حراً . والفقير إذا رأى ملكاً يشتهي أن يصير ملكاً . أما كورنيليوس فقد جاهد كثيراً ونعمة الله نال . فاعمل أنت مثله واقتدِ بإيمانه ، فتأخذ بحسب استحقاقك » .

١١٢ - وشاع صيت باخوميوس بعيداً ، وتحدث عنه الناس بعضهم بما يطابق فضيلته والبعض بمغالاة . وحدث أن اجتمع الأساقفة مع بعض الرهبان في كنيسة لاتوبوليس (إسنا) وكانت هناك مناقشة فيما إذا كان باخوميوس قادراً على تمييز الأرواح ، ودعوه ليبرهن لهم على ذلك . فجاء ومعه بعض الإخوة القدامى ، ولما رأى أنهم محبين للخصام لزم الصمت .

فلما سأله الأسقف فيلونرس والأسقف أموى لكي يتكلم عن نفسه قال : « ألم تكونا معي في الدير كرهبان قبل أن تصيروا أساقفة ؟ ألم تعلما أنني بنعمة الله أحب الله مثلكم وأهتم بالإخوة ؟ وموسى الذي من مجدولون كما يُدعى ، حين أمسك من الشياطين وأخذوه إلى الظلمة الأرضية ليميتوه ، أما عرفتم كيف أعانته نعمة الله بواسطتي ؟ إن هذا المثال يكفي » .

فأجابوه قائلين : « نحن نشهد أنك رجل الله ونعلم أنك كنت ترى الشياطين وتجاهد معهم لتطردهم من النفوس. أما عن الرؤى فلأنه أمر عظيم أن يُنسب للإنسان ذلك، لهذا قدِّم الآن دفاعك عن هذا الأمر لكى يمكن أن نقنع الذين يشتكون ».

وقال باخوميوس بهذا الخصوص : « أما سمعتموني مراراً كثيرة أقول إنني كنت إبناً لوالدين وثنيين لا يعرفان الله؟ مَنْ الذى منحنى أن أصير مسيحياً ؟ أليس هو إلهنا محب البشر ؟ وكما تعلمون أنه لم يكن هناك رهبان كثيرون. وحتى الجماعات التى وجدت من اثنين أو خمسة أو عشرة على الأكثر كانوا قلة نادرة . وبجهد كثير كانوا يحفظون أنفسهم فى خوف الله . أما الآن فيوجد منا الكثيرون، تسعة أديرة ، نجاهد بكل حماس الليل والنهار لكى نحفظ نفوسنا بلا عيب نعمة الله .

وأنتم أيضاً تشهدون أننا نعلم كل ما يخص الأرواح النجسة . والرب متى شاء يمنحنى هذا أيضاً : أن أعرف مَن هو الراهب الذى يسلك باستقامة ، ومن هو المنافق . لا تتعثروا فى موهبة الله . فالحكماء والفهماء بحسب هذا العالم إذا أمضوا أياماً قليلة وسط الناس ، أما يصلون إلى تمييز ومعرفة حال كل واحد منهم ؟

فإن كان ذاك الذى بحكمة أبيه سفلك دمه

لأجلنا، يرى إنساناً يرتعد قلبه كلما فكر أن واحداً، بل وأكثر من واحدٍ من جيرانه سوف يهلك ألا يمنح ذلك الإنسان الوسيلة التي بها يخلصهم بلا عيب سواء بإفراز الروح القدس، أو بإعلانٍ بسماح من الرب؟

وأما أنا فلست أرى الأمور التي تخص خلاصنا متى أردت، بل حين أحظى بالقدرة على ذلك من مدبّر الكل. فالإنسان في ذاته أشبه بنفخة، فإن أخضع نفسه بإخلاص لله لا يكون بعد نفخة بل هيكلاً لله. كما يقول: «وأسكن فيهم» (٢كو٦: ١٦). وهو لا يعني بذلك جميع الناس بل في القديسين. فهو يسكن فيك وفي الكل وحتى في باخوميوس، إن كان باخوميوس يعمل إرادته.» فلما سمعوا هذا تعجبوا من صراحته وتواضعه.

وعندما انتهى من الكلام حدث أن جاء إنسان ممسكاً من العدو ومعه سيف ليقتله. لكن الرب أنقذه بواسطة الإخوة الذين كانوا موجودين، إذ أن اضطراباً عظيماً حدث في الكنيسة. وهذا الخبر قاله البعض، والبعض الآخر قدموا رواية مختلفة.

أما الإخوة فنجوا وجاءوا إلى أقرب ديرلهم وهو المدعو بخنوم الذي كان يقع في حدود المدينة لاتوبوليس نفسها.

١١٣ - ولمّا عادت المركب من الإسكندرية ، لأنه لم يكن للكنيسة كلها سوى مركبين : الواحد لبيع الحصر ، لكي يشتروا الطعام والاحتياجات الضرورية الأخرى ، والمركب الأخرى لملابسهم .

وأتى زكاوس وتادرس وسلّما على الأب وعلى الإخوة. فسألهما : "كيف حال الكنيسة ؟" . وذلك لأنه كان حزينا من أجلها فى تلك الأيام إذ أن الآريوسيين المجدفين مع اغريغوريوس كانوا قد قاموا عليها مثل لصوص . وكان يصلى إلى الله من أجل هذا الأمر وهو متوجع القلب جداً على الظلم الواقع على شعب الله الذين حُرموا من أثناسيوس رئيس أساقفتهم الحامل المسيح .

وقال باخوميوس : "نحن نؤمن أن الرب سمح بأن يحدث هذا لامتحان المؤمنين ، وسوف يأتى الانتقام بلا تأخير" . ثم حدّثهم بعد ذلك عن الشدّة التى أتت عليه فى لاذوبوليس شاكراً الرب وقائلاً : "سبيلنا أن نصبر على كل تجربة لأنها لن تضرّنا . أما الفاحصون أمورنا فهم آباء وإخوة أرثوذوكسيون ، فحتى وإن كان العدو قد صنع شروره بنا بواسطة البعض منا ممن كانوا خارجاً عن حدود القانون إلى حين ، إلاّ أن الرب نجانا جميعاً" .

والبابا المغبوط أثناسيوس نفسه ظلّ أعداؤه

يحاربونه زماناً طويلاً"، فهو طوباوى بحق. ولن يستعلى عليه أعداؤه لأن الله يعينه فى إيمانه. وهكذا يتحقق فيه المكتوب: "كل لسان يقوم عليكِ فى القضاء تحكمين عليه" (إش ٥٤: ١٧)."

وهكذا صار، وعاد أثناسيوس إلى الكنيسة بمجدٍ ووقار.

١١٤- ومن بعد عيد الفصح أطلق الله مرضاً على الإخوة وانتقل أكثر من مائة أخ إلى الراحة الأبدية فى كل الأديرة. ومرض باخوميوس نفسه. وهذا المرض - الطاعون - إذا أصاب إنساناً يتغير لونه وتحمّر عيناه وتصيران كالدم. ثم ينتابه الإحساس بالاختناق إلى أن يموت. ومات سورس رئيس دير تخنوم، وكورنيليوس الذى من مونخوسين، وبفنوتيوس الذى أقام فى باقو وكان مدبّراً لجميع الأديرة وغيرهم كثيرون من الإخوة الكبار. أما تادرس فقد أوقف ذاته على خدمة الأب باخوميوس الذى انحلّ وهزل جسمه من شدة المرض الذى لازمه طويلاً. وكان قلبه وعيناه كنارٍ تتقد.

ومن قبل وفاته بيومين استدعى باخوميوس الباقين من آباء الأديرة وبقية المدبّرين وقال لهم: "أنظروا ها أنتم ترون أن الرب يفتقدنى. فاختاروا لأنفسكم من

يستطيع أن يدبركم في الرب ». واستدعى واحداً من دير شينوبوسكيا يدعى أورسيسيوس رجلاً قوياً في الإيمان متواضعاً وصالحاً، وقال له: « مرّ عليهم واستفسر منهم لترى من يختارون » ففعل كذلك.

أما هم فأجابوه قائلين وهم باكون: « إذا كان الرب قد سلّمنا ليديك، فنحن لا نعرف آخر سواك » فأجابهم باخوميوس: « صدّقوني إنني على يقين، إن كان بطرونيوس يعيش فهو يقدر أن يهتم بكم. فقد كان هو أيضاً مريضاً في الدير الذي يدعى « توهين » بالقرب من بانوس.

١١٥- وبعد أن صلّوا وانصرفوا، قال الأب باخوميوس لواحد من الإخوة: « اصنع محبة وأحضر لي غطاءً جيداً لأن هذا الغطاء ثقيل ولا يحتمله جسدي، لأن لي اليوم أربعين يوماً في المرض، لكني أشكر الله ». ومضى ذاك إلى الإيكونومية وأحضر له غطاءً أخف وأجود من الأول وغطاه به. ولما رأى الغطاء أنه أفضل قال: « خذه، لأنه ما ينبغي أن أحظى باهتمام يختلف عن بقية الإخوة، ولا سيما الآن وأنا راحل وقريب من ترك الجسد ».

١١٦- أما روحه فلم تكن لتغادر الجسد بسهولة. وقد أمسك بلحية تادرس برجاء وقال له: « إذا دفنوا عظامي

خذها من هناك » . فظن تادرس أنه يأمره أن لا يترك جسده فى الموضع الذى يدفنوه فيه بل أن ينقله سراً إلى موضع آخر . فقال له باخوميوس : « لست أقصد هذا فقط ، بل وهذا أيضاً » . ثم أوصاه ثلاث مرات ألا يهمل الاهتمام بالإخوة المتوانين بل يوقظهم بناموس الله » . فقال له تادرس « نعم » .

وهكذا أسلم روحه الطاهرة فى الرابع عشر من شهر بشنس ، وظلوا ساهرين الليل كله بالقراءات والصلوات . وبعد تحنيط الجسد حملوه بالمزامير إلى الجبل حيث دفنوه . ولما عادوا من الجبل نقله تادرس مع ثلاثة من الإخوة إلى موضع آخر ، وهو هناك إلى هذا اليوم .

١١٧ - والذين أُرسلوا إلى الأب بطرونيوس أحضروه وهو ما زال مريضاً . وقد كان وهو فى مرضه شجاعاً متيقظاً جداً . وبعد أن مكث يسوس الإخوة أياماً قليلة بكلمة الله وتذكار أبيهم تنيح فى السابع والعشرين من شهر أبيب . وفيما كان على وشك تسليم الروح ، استخبر منهم عمن يريدون أن يحل مكانه أباً لهم ، فلما أجابوه بأن هذا الأمر يرجع إليه ، عيّن لهم الأب أورسيسيوس الذى تقدم ذكره ، أما أورسيسيوس فلما سمع بذلك قال : « هذا يفوق طاقتى » . ثم جنّزوا القديس بطرونيوس بالصلوات والمزامير

ودفنوه عند الجبل .

١١٨- وكان الأب أورسيسيوس صالحاً جداً ومتواضعاً. وصار يطوف الأديرة ليفتقد الإخوة باهتمام كثير، عالماً أن أبانا القديس باخوميوس كان كاملاً في غيرة عنايته بهم . فسواء كان جالساً أو واقفاً كان يتحدث بكلمة الله لأجل منفعتهم .

وكثيراً ما كان يذكر كلمات أبّا باخوميوس له حين كان رأساً لدير شينوبوسكيا : « إنك وإن كنت ما أخذت من الله معرفة كثيرة ، لكن قل لهم مثلاً والله يجعله عاملاً فيهم ». وهكذا كان يضرب الأمثال ويشرحها لهم . وكان الإخوة يتعجبون عند سماعها .

قال : « قد عرفنا أن أبانا كان يدعنا بمعرفته الكاملة بالأقوال الإلهية ، أما أنا فخالٍ من هذه المعرفة، ولكن أرى أنه إن لم يحرس الإنسان قلبه جيداً فهو ينسى ويهمل ما يكون قد سمعه . وهكذا يجد العدو له مكاناً فيه ويغلبه ، كالمصباح المعد للإضاءة إذا أهمل المرء أن يضع فيه زيتاً ينطفئ سريعاً ويشتد الظلام عليه بالأكثر ، وليس هذا فحسب بل أحياناً يأتي فأر ليأكل الفتيلة ، وما لم ينطفئ النور لا يقدر على ذلك ، ولكن متى رأى أن الفتيلة قد عدمت النور وبالذات الحرارة ،

يجتذب الفتيلة خارجاً ويأكلها ويتسبب فى كسر المصباح. فإن كان خزفياً يتحطم تماماً، وإن كان نحاساً يجده صاحب البيت ويرده إلى مكانه.

هكذا بالمثل إذا أُهملت النفس، يَبْتعد عنها الروح القدس تماماً، حتى تنطفئ حرارتها. حينئذ يأكل العدو نشاط عزيمتها ويهلك الجسد بأهواء الشر. وإن كان انعطاف الإنسان نحو الله جيداً وانغلب للتوانى خلسة، فإن الله الرحوم يقرس فى قلبه مخافة الله وتذكار العذابات. وحينئذ ينتبه ويحرس نفسه للمستقبل بانضباط زائد حتى ولو وصل إلى الأسقفية."

وبعد أن تحدث إليهم بهذا الكلام وأفادهم بالمثل نهض ليصلى.

١١٩ - ومكث الأب أورسيسيوس وسط الإخوة متمثلاً بسيرة الأب باخوميوس بكل غيرة وحماس. فقد كان مصاحباً له زماناً طويلاً. ولما أقامه أبا الدير شينوبوسكيا تذمر البعض قائلاً أنه مبتدئ ولم يستأهل بعد لهذه الرتبة. فلما سمع أبّا باخوميوس ذلك، تكلم بخصوصه قائلاً: "لاتظنوا أن ملكوت السموات هى للإخوة القدماء فقط. فالراهب القديم الذى يتذمر على أخيه فهو ليس قديماً". والواقع أنه لم يصل إلى رتبة المبتدئ. فالله

لا يطلب من الإنسان شيئاً سوى الخوف والمحبة. فالمحبة لا تصنع شراً للقريب (رو ١٣: ١٠)، وأنا أقول لكم إن أورسيسيوس بتقدمه صار مصباحاً ذهبياً في بيت الرب. ويوافقه القول المكتوب: "خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كو ١١: ٢).

١٢٠- وحدث أنه حين عاد رئيس الأساقفة القديس أثناسيوس من البلاط بمجد الرب، وكان الإخوة في المركب في طريقهم إلى الاسكندرية، أنهم سمعوا أن أبانا الطوباوي أنطونيوس في الجبل الخارجي. فأرسوا المركب على شاطئ النهر وصعدوا إلى الجبل ليروا رجل الله ويحظوا ببركته.

فلما سمع أن الإخوة قد وصلوا غصب نفسه أن يقوم - إذ أنه كان شيخاً هرماً - وخرج ليسلم عليهم. وسألهم: "كيف حال باخوميوس؟". أمّا هم فبكوا، فعلم أنه قد انتقل، فقال لهم: "لا تبكوا فجميعكم صرتم مثل أبّا باخوميوس. وأقول لكم إنه استلم خدمة عظيمة بجمعه هذا العدد الوافر من الإخوة وسلك منهج الرسل".

فأجابه الأب زكاوس قائلاً: "بل أنت أيها الأب هو نور لكل العالم؛ وقد وصل صيتك إلى الملوك، وبسببك هم يمجدون الله". فقال له القديس أنطونيوس: "لست معك في هذا يا زكاوس. إنني في

البداية حين صرتُ راهباً ، لم تكن هناك شركة (كينوبيون) لرعاية نفوس آخرين ، بل من بعد الاضطهاد كان كل واحد من الرهبان القدامى يتنسّك على انفراد . وبعد ذلك عمل أبوكم هذا الصنيع الحسن بالهام الرب . وكان إنسان قبله يدعى "أولماس" أراد أن يعمل هذه الخدمة ، ولكن لأن غيرته واهتمامه لم يكونا من كل قلبه فقد أخفق في سعيه . أما أبوكم فقد سمعتُ عنه كثيراً أنه كان يتصرّف حسناً على حسب الكتب الإلهية (عب ١٣ : ١٨) . ولقد اشتقت بالحقيقة مراراً كثيرة أن أراه بالجسد ، وربما لم أكن أهلاً لذلك . لكن على كل حال سينظر بعضنا بعضاً بنعمة الله في ملكوت السماء وجميع القديسين ، وبالأخص ربنا وإلهنا يسوع المسيح . أما أنتم فتشجعوا واثبتوا وكونوا كاملين .

والآن قولوا لي : " مَن الذي عيّنه خلفاً له ؟ "

أجابوه : " الأب بطرونيوس ، ولما تنيح تعيّن أباً أورسيسيوس".

فقال لهم : " لا تدعوه أورسيسيوس بل الإسرائيلي . وإذا مضيتم إلى الأسقف أثناسيوس الذي هو أهل بالحقيقة للأسقفية قولوا له إن أنطونيوس يسأله أن يعتني بأولاد الإسرائيلي".

ثم صلّى عليهم وباركهم وصرفهم في طريقهم وحمّلهم رسالة منه اليه . فلما وصلوا إلى الاسكندرية

قبلهم البابا القديس وعاملهم بمحبة . وبالأكثر لسبب كلام الطوباوى الذى كان عارفاً بفضيلته وسمو مقداره .

١٢١- وبعد ذلك رتّب أبّا أورسيسيوس تادرس مديراً لبيت البنائين فى بافو مدة من الزمان . ثم جاء مقاريوس أب دير بخنوم بعد الأب سورس . وطلب من أبّا أورسيسيوس أن يرسل تادرس معه إلى ديره لكى يعدّ لهم الخبز . وقد كان يرى أن فى ذلك تشجيعاً (لهم) وتعزية . وبعد الفصح مضى معه إلى الدير . وبينما هما فى المركب أتى أحد الإخوة إلى تادرس حيث كان جالساً ، وإذ رآه هادئاً متضعاً مثل أخ مبتدئ فسأله : " كم من الزمان لك مع الإخوة ؟ " فقال له : " مدة يسيرة " . حينئذ قال له : " وهل كنت تعرف صناعة الخبز قبل مجيئك هنا ؟ " فأجابه : "قليلاً" . حينئذ قال له : " إذا مضيت إلى المخبز واتفق أن رأيت واحداً يضحك زائداً عما يجب ، أو يخاصم آخر كما هو الحال فى كنوبيون ، حيث يوجد أناس من كل نوع ، فلا يعثرك هذا لكن وجّه كل اهتمامك إلى نفسك متمثلاً بأولئك الحريصين المتيقظين" فقال له تادرس : "حسنا" .

وبعد أن أرسوا المركب عند الدير سمع الإخوة بمجئ تادرس فخرجوا جميعاً بفرح للقائه ، فقد كانوا

يعرفونه منذ زمان حين كان يعزّي النفوس مع أبينا. أما الأخ الذي تكلم معه في المركب مثل مبتدئ، فلما رأى الإخوة يكرّمونه، خجل واختشى لكونه تجاسر أن يتكلم هكذا مع رجلٍ مثله.

١٢٢- أما الأب أورسيسيوس فكان يرعى الإخوة ويغذّيهم بحسب النعمة التي منحها له الله. وقد كان عليه إلى جانب واجباته الأخرى أن يحدّث الإخوة ويعزّيهم. فكان يكلّمهم ليس فقط بالأمثال، بل وبتفسير معاني الأقوال الإنجيلية. وكان يذكّرهم بحفظ قوانين الشركة التي وضعها الأب باخوميوس لتنظيمها وهو بعد على قيد الحياة، وكذلك قوانين ووصايا الآباء ومديري البيوت ومساعديهم في الأديرة. ولكي يعرف أقنوم الدير الكبير ليدبرهم، حدّد لهم موعدين في السنة: في الفصح وعند تقديم الحساب الختامي فيما يخص حاجات الجسد وأشغالهم واستهلاكاتهم.

١٢٣- وكان الرب يحفظهم باتفاق ومحبة على ما كانوا عليه من قبل. ولم يكن كثيرون من الإخوة القدامى قد انتقلوا بعد، هؤلاء هم: بسنتاسيوس، صموئيل، بولس، يوحنا، هيراقابولون الذي ذكرنا سابقاً أنه كان بمعونة الله يعزّي أبانا باخوميوس في أوقات

الضيقات، ثم العظيم تيتويس، ويونان وآخرون كثيرون. وتادرس الذى من المدينة، وتادرس الآخر الذى ألهبه الرب بروحه عن طريق الأنبا باخوميوس ليصير إناءً مختاراً.

وإذا كانت هناك مصابيح كثيرة بهذا المقدار بين الإخوة لم يُرَ عندهم ظلام، لأن "وصية الرب مضيئة تنير العينين عن بعد" (مز ١٩: ٨).

١٢٤- ولما انتقل الأب بفنوتيوس الأقنوم الكبير لدير بافو، عيّن الأب أورسيسيوس "بصارفتين" مدبّراً مكانه، وكان راهباً قديماً صبوراً على الأتعاب فرحاً بالروح.

١٢٥- وكثيراً ما كان الإخوة يطلبون من تادرس أن يفسّر لهم قولاً روحياً، أو أن يحدّثهم عن إحدى مناظر الأب باخوميوس، فكان يقول لهم: "هوذا الأب أورسيسيوس، فلنطلب منه كل ما نريد وهو يخبرنا لأنه هو أبونا". فكان الأب أورسيسيوس يجلس ويتحدث إليهم كما هى عادتهم منذ البداية حيث كانوا يجلسون بعد نهاية العمل وبعد العشاء ويتفاوضون فى أقوال الكتب، إذ لم يكن لهم ثمة اهتمام آخر سوى بما هو لخلاصهم.

والذين كانوا معيّنين على الاهتمام بهم كانوا على

قدر قوتهم يخدمونهم لخدام الله. فالرب يقول: "بما أنكم فعلتموه بأحد هؤلاء المؤمنين بي، فبي قد فعلتم".

ومتى كان الأب أورسيسيوس يتحدث إليهم، كانت تادرس نفسه يجلس بينهم ليسمع كصبي برئ قائلاً في نفسه: "إنني جاهل، إذ كنتُ قد سببت بجملى في ذلك الحين حزناً لله ولأبينا". ولقد شهد الأب باخوميوس عن تادرس في غيابه أنه كان عظيم الاتضاع وقد أفاد من توبته التي صنعها سبعة أضعاف.

١٢٦ - وتحدث أبونا أورسيسيوس وقال: "أرى أن بعضاً منكم يطلبون الألقاب والرئاسات، أي أن يكونوا مديري بيوت وما أشبه. وقد جرت العادة في أيام أبينا ألا يقبل أحد أي وظيفة إلا من أجل الطاعة، إذ لم يكن فيهم أحدٌ يودّ أن يكون عظيماً، خوفاً من أن يوجد في ملكوت السموات حقيراً. وحين رتبني أبا بطرونيوس بكيتُ وصرتُ في خوف عظيم من هلاك نفسي.

ولست أنا وحدي، بل القديسون أيضاً بكوا. وأولهم موسى الذي حين أرسله الله إلى الشعب استعفى باتضاع حتى غضب الله عليه من أجل ذلك، وحينئذ قبل أن يقوم بهذه الخدمة. أما نحن أيها الإخوة، إذ نسمع الكلمة: "من يرفع نفسه يتضع" فلنحفظ أنفسنا.

فقيادة النفوس ليست لكل واحد ، بل للكاملين فقط .

وهناك مثل يقول أن اللبنة النيئة إذا وضعت فى أساس قريب من النهر لا تثبت يوماً واحداً ، أما التى نضجت فى النار فتثبت مثل الحجر . هكذا هو الإنسان ذو الميول الجسدية الذى لم يُحمَّى بكلمة الله مثل يوسف (مز ١٠٥ : ١٩) ، إذا وصل إلى موضع الرئاسة هلك . فالتجارب التى تصادف أمثال هؤلاء فى وسط الناس كثيرة .

فالأجدر بالإنسان الذى يعرف قدره إذا أقيم على رئاسة ، أن يلقى عنه ثقل تلك الرئاسة لئلا يؤذى نفسه جداً . أما الراسخون فى إيمانهم فهم ثابتون غير متزعزعين . وإذا أراد أحد أن يحتجّ بيوسف المغبوط (لكونه قبل الرئاسة) نقول : إنه لم يكن أرضياً فقد واجه تجارب كثيرة بهذا المقدار ، وفى بلد لم يكن فيه أى أثر لعبادة الله . ولكن إله آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب كان معه وأنقذه من كل شدّة . وهو الآن بين الآباء فى ملكوت السماء .

وأما نحن فلنعرف منزلتنا ونجاهد ، وبهذا فقط يمكننا أن ننجو من دينونة الله . * وبعد أن قال لهم أشياء كثيرة مثل هذه صلّى وانصرف إلى مساكنهم .

١٢٧ - وحدث بعد ذلك أن تزايد عدد الإخوة كثيراً وكان

أنه من أجل إطعام مثل هذه الجموع أن ابتدأوا في الإتساع (بافتناء) الحقول والغابات الكثيرة . فلما زادت الاهتمامات الأخرى بدأ كل دير في التواني قليلاً قليلاً . وواحد يُدعى أبولونيوس كان أبّا لدير مونخوسين ، أراد أن يشتري لنفسه مقتنيات زائدة عن الحاجة على خلاف قانون الجماعة . وغضب لكون أبّا أورسيسيوس راجعه في ذلك الأمر وعاتبه عليه وبتحريض من العدو أراد أن يفصل ديره من الكنوبيون وأقنع الكثيرين من كبار رهبان الدير أن يعملوا كذلك . وتأذّت أديرة أخرى كثيرة بواسطته إذ أنه قام قائلاً : « لم يعد لنا بعد أية أهمية بالنسبة لجماعة الإخوة » . وحاول الأب أورسيسيوس أن يقنعه ، ولكنه لم يسمح له لأن التجربة كانت قد قويت عليه .

١٢٨ - ورأى الأب أورسيسيوس نفسه في شدّة عظيمة . فقد ظل مدة يحتمل واضعاً في نفسه أن يصبر على ضيقته حتى الموت ، وبعد ذلك فكر أنه ينبغي أن يرتب معه زميلاً يشاركه في حمل أعباء واجباته الأبوية .

فانفرد ليلاً في مكان هادئ ، ولما ذكر هو نفسه لنا بقيه أنه ظل يبكي طويلاً ويقول : « يا الله ، إن خادمك الأب بطرونيوس قد أقامني على هذه الخدمة لكي أكسب بالحري وأخلّص كثيرين ، والآن أرى أن كثيرين لا يسمعون

لى فى أمر خلاصهم، بل قد اتبّع كل واحد هوى قلبه، ماعدا عبيدك الأمناء الذين سلكوا حسناً مع أبينا باخوميوس والباقون الذين ثبتوا فى مخافتك. وأما أنا فحزين إذ أرى الدير كله فى انشقاق. وليس ذلك منى لأنك تعلم يارب أننى لم أسبب حزناً لأحد. ولست أخاف فقط على رهبان ذلك الدير بل على الآخرين الذين فى الأديرة الأخرى أيضاً، لئلا يجدوا مثلهم علة لرفضهم الوفاق والمحبة التى كنا نعيش بها منذ البداية. والآن يارب ما أقدر أن أكون وحدى فإظهر لى شخصاً قديراً أقيمه لهم حتى لا أكون أنا علة مايحدث لنفوسهم."

١٢٩- وشاهد أورسيسيوس فى تلك الليلة حلماً، حيث رأى سريرين أحدهم جيد لكنه قديم والآخر جيد ومتين. وأُوحى إليه هكذا: "استرح أنت على السرير المتين". فتحقق بروحه أن ذلك السرير هو تادرس الذى كان وقتاً ما بنفس واحدة مع الأب الكبير باخوميوس.

ولما صار النهار - وكان قد زال حزنه وبالأخص لأنه كان يحب تادرس كثيراً من أجل اتضاعه وصبره على مواجهة منازعات الناس - جمع كل الرؤساء فى غيبة تادرس وقال لهم: "أنتم بالتأكيد لاتجهلون التجربة الحادثة علينا. وقد انتظرت زماناً طويلاً لعلها تسكن، ولكنها

تزداد بالأكثر كما ترون . لهذا أعترف لكم أنني لم أعد قادراً على تحمل عبء هذه المسئولية وحدي . وأعلم أنه ولا أنتم تضطرونني لذلك . بل أنا نفسي أعرف يقيناً أنني لست قادراً . فالله والآباء لن يلوموني لأنهم يعرفون حدود قدرتي . والذي أراه كفؤاً لهذا من كل جهة هو تادرس الذي كان وقتاً ما - ومازال إلى الآن - أباً لنا ".

وبعد أن قال ذلك مضى إلى دير شينوبوسكيا ليلاً وأقام هناك . أمّا الإخوة فتقبّلوا ذلك بفرح وتهليل ، وأخذوا تادرس كأب لهم . أما هو فألزم نفسه ألا يأكل أو يشرب لثلاثة أيام ، قائلاً : " ما لم أقابل أبًا أورسيسيوس ".

١٣٠ - ودُعي أورسيسيوس للحضور ، وانعقد اجتماع آخر ؛ حينئذ قال له أبًا أورسيسيوس : " ليس نحن الذين قد رتبناك ، بل أبونا باخوميوس هو الذي أقامك ، وأشار إلى ذلك من قبل حين أمسك بلحيتك وقال لك ثلاث مرات ، " أذكر يا تادرس ألا تترك عظامي في موضع دفنها ".

فلما سمع أبًا تادرس هذا الكلام لم يعد يقاوم . وعاد الأب أورسيسيوس إلى شينوبوسكيا ، وترك تادرس مع الإخوة . وثبت أبًا تادرس في موضعه . وما أت

سمع الإخوة في جميع الأديرة هذا حتى فرحوا وبالأخص أولئك الذين عرفوه من البداية ابناً حقيقياً لأنبا خوموس، وأن كلامه كان محمولاً بنعمة وفيه شفاء للأنفس الحزينة

وكان عجيباً في طاعته لأبّا أورسيسيوس حتى أنه كان يقول عنه: «حقاً إن هذا الإنسان هو "سرير" مريح في كل شيء». وإذ كان تادرس يتذكر دائماً قانون توبته لم يكن يعتقد في نفسه أنه أب لمجرد أنه أقيم على هذه الرتبة. وكان دائماً يتعب ليلاً ونهاراً من أجل خلاص إخوته بالرب. وكان يقول أنه تابع وخادم لأبّا أورسيسيوس رغم أنه اعتزل عن التدبير. وهكذا كان رجل الله تادرس كلما أراد أن يصدر أمراً يمضي مسافة طويلة ليأتي ويسأله: «ماذا تريد أن أفعل؟». وكان قد استأصل من نفسه كلية حب الرئاسة، إذ قد تأدّب من الله وبواسطة التجربة بلغ حد الكمال. ولم ينح بصلاحه أبّا أورسيسيوس وحده، بل وجميع الآخرين أيضاً، حتى أن الأب أورسيسيوس قال: "إنني اليوم رئيس أكثر مما كنت".

١٣١- وحين جمع الإخوة ليتحدث إليهم في عظته الأولى خاطبهم قائلاً: «أين هم الإخوة الأوائل؟ ليتنا نتأيد بالرب وبالمودة والوفاق نشارك بعضنا أتعاب

البعض لكى لايبدد العدو ثمار أتعاب أبينا . فأنتم تعلمون كيف احتمل الآلام من الشياطين حتى عرّفنا بربنا يسوع المسيح الذى سيكون ظهوره بخوفٍ ورعدةٍ . والآن لم تمضِ خمسة سنوات بعد ، وقد نسينا تلك الأيام التى كنا نعيش فيها بفرح وسلام مع بعضنا البعض. لأننا فى أيام أبينا كنا نحيا حاملين فى قلوبنا وعلى أفواهنا كلمة الله التى هى أحلى من العسل وقطر الشهاد (مز ١٩: ١٠) . ولم نكن نحس كأننا نعيش على الأرض بل كأننا نعيّد فى السماء . فأى إنسان إن وجد نفسه فى الصقيع والبرد الشديد ليجرى مسرعاً بأقصى قوته إلى حيث النار ليتمتع بالدفء بجوارها وينتعش ؟ هكذا كان الحال معنا ، إذ أننا بقدر ماكنا نطلب الله ، كان يظهر لطفه وصلاحه من نحونا ليملأ نفوسنا من حلاوته (تى ٣: ٤) .

ولكن كيف هو حالنا الآن ؟ ليتنا نرجع جميعنا إلى الله ونؤمن أنه يجدّدنا بحسب كثرة رحمته ".

ولمّا قال ذلك بكى . وبكى معه الإخوة بصوت عظيم حتى سُمع صوت بكائهم من على بعد من مكان الاجتماع . وبعد ماصلّى هكذا صرف الإخوة . ثم طلع فى مركب مع الإخوة وجال يفتقد إخوة الأديرة لكى يشدّدهم . وبعد جهاد عظيم وبحكمة روحية استطاع

أن يقنع أبولونيوس أب ذلك الدير (المنشق) أن يعيش فى سلام ووفاق مع الإخوة. وهكذا خزى العدو الذى كان يجرّبهم.

١٣٢- وكان أبّا تادرس ساهراً جداً على النفوس فكان يأخذ كل واحد على انفراد ويعزّيه ويطيّب نفسه مثل طبيب. ولم يكن أحد من الإخوة يتردد فى أن يعترف له على انفراد عما فى نفسه، وعن حروبه مع العدو. وقد كان هو نفسه يعرف معنى النصرة فى الرب الذى قال: "ثقوا" (يو ١٦: ٣٣). فكان يعلّمهم أن يقاوموا كل فكر غريب. وبكلمات بولس الرسول التى تقول إن كل واحد يتكلل بعد أن يكون قد جاهد قانونياً.

وكان إذ رأى شخصاً متوانياً ومهملاً خلاصه، ينصحه بصبر كثير ويذكّره بدينونة الله الرهيبة، "لأنه مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب ١٠: ٣١)، وأن الله إذ يعاقب الخاطئ يظهر بذلك صلاحه وخيريته، إذ أنه يشاء أن يخلّص جميع الناس ويقودهم للراحة الأبدية (١تى ٢: ٤).

وكان يقول أيضاً أنه سيكون مُداناً عن عثرة أى شخص إن هو أظهر صبراً زائداً عن الحد بالنسبة للذين يزدرون بخلاصهم. ومن أجل هذا لم يكن يعطى لنفسه

راحة ، بل بغيرة عظيمة كان يلقى همّه على الرب ، ويصلى قائلاً : « إنه جهاد عظيم على المرء أن يعطى حساباً عن أفعاله ، فكم بالأكثر يكون شاقاً أن يقدم حساباً عن آخرين كثيرين . ولهذا أعرف أننا مثل الظل (أى٨:٩) ولسنا نحن الذين نحفظ أنفسنا ، ولو نستطيع أن نصل إلى ذلك المقدار ، بل أنت يارب الخالق والعارف بقلوب البشر ، احفظنا جميعاً وكل العالم من الشياطين الأشرار ، لأنه ليس آخر سواك يقدر أن يخلصنا أيها الرب الإله ورب المجد ».

١٣٣- وكان إذا أتى إليه العامة سواء فى طريق أو فى الدير من أجل شخص به شيطان أو أى مرض آخر ، كان يقول لهم : « أتفتكرون أننا نحن الخطاة نستطيع أن نتشفع عند الله من أجلهم ؟ إن الله الرحوم إن أراد يستطيع أن يخلّص خليقته بما أنه يظهر جوده وصلاحه دائماً نحو الجميع ».

فإذا ألحّوا عليه وطلبوا منه أن يصلّى ، كان يصلّى ويطلب أن تكمل مشيئة الله وإحسانه . فكان الرب يمنحهم الشفاء . وكان يصنع هذا متذكراً دائماً الرب باخوميوس الذى علّمه ، فقد كان يسير على طريق القديسين بغير انحراف .

١٣٤ - وبموافقة أبينا أورسيسيوس أسس ديرين آخرين بالقرب من هرموبوليس بالإضافة إلى الأديرة التى تأسست منذ البداية. وكانت تدعى: "كايور" و "أوى". ثم رتّب لهم حسب قوانين الجماعة الآباء الأتقياء الساهرين ومساعديهم ومديرى البيوت ومساعديهم كما هو النظام فى بقية الأديرة.

وأسس ديراً آخر بالقرب من إرمونثيس (أرمنت) وعين له كذلك آباء صالحين وإخوة بحسب الأنظمة عينها. كما أسس أيضاً ديراً آخر للعذارى فى قرية تدعى "بيخنى" وتبعد حوالى ميلاً واحداً عن دير بافو. وقد كان أبّا باخوميوس قد أسس خلال جولاته ديراً آخر فى تومينا.

وكان بهذه الأديرة كفايتها من الملابس الصوفية والحصر والأغطية. وكانت العذارى يغزلن الكتان لثيابهن، وينسجن كل الأشياء الأخرى. وكان عملهن يُرسل إليهن بواسطة أبيهن أبونيخوس مدبّر الدير الكبير. وهو رجل قديس وقور صار مديراً بعد انتقال الأب بطرس الشيخ فى لهبانيسين.

١٣٥ - ولما كان أبّا تادرس قد سمع بالشكايات التى حدثت من قبل أبّا باخوميوس بخصوص ما كان يشاهده من رؤى، وما صار من اضطراب بسبب ذلك - وقد كان هو نفسه فى ذلك الحين على مركب فى طريقه إلى الإسكندرية -

فمنذ ذلك الوقت فصاعداً بدأ يخفى كل ما كان يشاهده فى الرؤى من قِبل الرب. وقد تحقّق أن ذلك أفضل.

وهذا ما كان يعلّم به الإخوة: «أى شئ أعظم من اقتناء الروح القدس؟ فإن كان كل من يؤمن باستقامة ويحفظ وصايا الله يصير أهلاً أن يكون هيكلاً لله، فواضح إذاً أنه حيثما يوجد الرب فهناك أيضاً كل دالة وثقة وحرية. فأى شئ بهى لا تجده فى بلاط الملك؟ كذلك كانت خيمة الاجتماع قديماً محتوية على كل شئ مما يؤول إلى مجد الله. لهذا لا ينبغى لأحد أن يشك إذا سمع عن أحد رجال الله أنه شاهد رؤيا. فالذى يُظهر له الرؤيا هو ساكن فيه.

ومع ذلك يلزم الحذر حتى فى هذا الأمر، لكى لا يظن أحد فى نفسه أنه شئ وهو ليس بشئ، ولئلا يخدعه العدو بشهوة الرؤى، وإذ ينغلب لها يسقطه فى الضلالة كما يفعل كثيرون. فالذى وصل إلى هذا المقدار والذى لم يصل، ينبغى عليهما أن يصليّا لكى ينجو من العذاب الأبدى، لكى نقتنى جميعاً الاتضاع. فالقديسون كانوا يبتهلون من أجل هذا الأمر، وواحد منهم قال: «احفظ نفسى وانقذنى» (مز ٢٥: ٢٠، ٦٩: ١٨). وأيضاً بولس الرسول يشكر الرب من أجل خلاصه فيقول: «وأُنقذت من فم الأسد»، وكان يقصد بذلك الشيطان الذى يزأر ملتمساً أن يفترس النفوس؛

لأنه مخادع جداً ، فأحياناً يجعل الكذب يظهر وكأنه حق . وما لم تكن للإنسان المجرّب رؤية حادة فهو ينخدع له . أما الذى لا ينخدع فهو ذلك الذى يقدم الطاعة بلا فحص، لله وللقديسين فى كل شىء .

فلنتفهم أيها الإخوة هذه الأمور ، وليعلم كل واحد منا سواء كان راعياً أو غنمة مقراره بل فلنصلِّ لنكون جميعنا رعية ، حيث ليس يوجد راعٍ سوى ذالك الذى قال : "أنا هو الراعى الصالح " .

ولكن كما سبق داود وأخبر أن " الرب هو الله وقد أنار لنا " (مز ١١٧ : ٢٧) ، الله الذى ظهر فى الجسد وخلّصنا منعماً علينا بمعرفة الإيمان ، وعند صعوده للسماء أقام الرسل خلفاءه ، فقال لبطرس : " أَطْعِم حملانى . اِرْعَ غنمى " فمن هنا كانت الحاجة الدائمة -كما فى كل جيل- لأولئك الذين يطعمون النفوس فى الرب القائل : " أنا معكم " .

ونحن نعلم أنه من بعد الرسل جاء الآباء الأساقفة ، فجميع الذين يطيعون المسيح فيهم ، يكونون أولادهم حتى ولو لم يكن لهم رتبة كهنوتية أو كنسية .

١٣٦- وكان أبّا تادرس حاضراً بنفسه وسمع بأذنيه عندما استقبل الطوباوى أنطونيوس الإخوة كأولاده . كما

أن البابا القديس أحب الاثنين كثيراً مثل أبَّا باخوميوس بل وأكثر. وإذ تذكرّ ذلك قال للإخوة: " قد سمعت يا أبي وكان القدامى بينكم حاضرين حين قال: " رأيتُ في مصر في جيلنا هذا ثلاثة رؤوس نموا بنعمة الله لأجل منفعة جميع الفاهمين: القديس أثناسيوس الأسقف المجاهد من أجل الإيمان بالمسيح حتى الموت، والأب القديس أنطونيوس المثال الكامل لحياة الوحدة، وهذه الشركة التي هي مثال آخر لجميع الذين يريدون أن يجمعوا النفوس في الله ويهتموا بهم حتى يكملوا ".

١٣٧- وحدث بعد هذه الأمور أن الملك قسطنطيوس أرسل يبحث عن الأسقف القديس أثناسيوس، وذلك بسبب مكيدة دبّرها الأريوسيون أعداء المسيح. وفوّض ذلك إلى القائد أرتيموس فجعل يبحث عنه في كل مكان. وانتشرت إشاعة أنه لابد أن يكون مختبئاً بين الرهبان الطبانيسيين لأنه كان يحبهم. فأقلع الدوقس أرتيميوس إلى هناك لهذا الغرض.

وتصادف بينما كان صاعداً في النهر، كان تادرس نازلاً ليفتقد الإخوة في الأديرة المحيطة بهرموبوليس ولما اقترب من الدير الأعلى الذي يدعى " كايور" شاهد الدوق مقلعاً صاعداً، وإذ تحقق ماذا كان سيحدث

شرح ذلك للإخوة. فأراد الإخوة أن يعودوا إلى الدير قبل وصول القائد لئلا يزعج الإخوة فى بافو. ولكن تادرس قال لهم: "لقد قطعنا مسافة طويلة لكى نفتقد الإخوة خدام الله، ذاك الذى هو قادر أن يدبّر هذا الأمر بدون حزن". وهكذا سار فى طريقه إلى الأديرة.

١٣٨- ولما وصل أرتيميوس إلى الدير أمر جنوده أن يتجهزوا كما فى حرب، ويحرسوا الدير خلال الليل. أما هو فجلس داخل الدير ولكن خارجاً عن مكان الصلاة وأحاط به ضباطه مع رماة الرماح. وتطلع إليه الإخوة فى خوف. أما باكيسيوس الرجل القديس الذى سبق أن تكلمنا عنه، فكان يشجّع الإخوة حتى لا يخافوا بل يثقوا بالرب. وسأله القائد بلسان المترجم قائلاً: "أين هو أبوكم؟" فأجابه أنبا باكيسيوس: "لقد مضى ليزور الأديرة". فقال: "وأين هو مساعده؟" فعرّفوه بالأب بصارفتين إذ كان هو المدبر الكبير. فكلّمه أرتيميوس على انفراد قائلاً: "لقد جئت هنا أحمل أمراً ملكياً ضد أثناسيوس الأسقف، ويقولون أنه معكم هنا". فقال له أنبا بصارفتين: "نعم هو أبونا حقاً، ولكنى لم أر وجهه قط، وعلى أى حال فالدير أمامكم لتفتشوه".
فلما فتش أرتيميوس ولم يجده قال لهم أثناء

الصلوات الاجتماعية : « تعالوا وصلّوا لأجلى ». فأجابوه قائلين : « نحن لانقدر، لأن أبانا أمرنا ألانصلى مع أى إنسان يشارك بدعة الأريوسيين . وقالوا ذلك لأنهم قد رأوا بين رفقاء القائد شخصياً اعتقدوا أنه أسقف أريوسى . ولهذا عند خروجهم صلّى هو بمفرده . وفيما كان نائماً أثناء الصلوات النهارية استيقظ وهو يزف دماً من أنفه . ولم نعرف ما الذى حدث له ، لكنه كان منزعجاً جداً ومملوءاً رعباً وقال : « لقد رأيت رؤيا ونجوت فيها من الموت برحمة الله فقط ». وهكذا ارتحل عنهم . وعندما وصل أبّا تادرس وسمع هذه الأمور شكر الله .

١٢٩- وكان كثيرون من الإخوة يموتون ، حتى أنه كل يوم كان ينتقل واحد أو اثنان . وفى أحد الأيام فيما كانوا ذاهبين إلى الجبل (ليدفنوهم) أخذ منهم التعب جداً لأن مياه الفيضان قد بدأت تغمر الحقول . ولهذا سألوه قائلين : « ماذا نفعل إذا مات آخر ؟ فحتى ولا المركب نستطيع أن نعبر إذ قد لا يرتفع النهر أكثر من ذلك ».

فأجابهم : « إننى أومن أن الله سيتحنن علينا حتى فى هذا الأمر أيضاً ». وهكذا لم يمت أحد حتى توقف الفيضان . وتعجّب الإخوة من هذا .

١٤- وفى أحد الأيام بينما كان تادرس جالساً يتحدث إلى الإخوة قال له أحدهم: "لماذا أغضب سريعاً إذا وجّه إلىّ أحد كلاماً قاسياً"؟ فأجابه قائلاً: "ليس ذلك بغريب، فحتى نبات الأكاسيا الشائك إذا ضُرب بالفأس أفرز صمغاً". فسأله الإخوة: "وما معنى ذلك؟" فقال: "إن رجل الله مثل كرمة، إذا أخذ الإنسان منها عنقود عنب وعصره يعطيه خمراً حلواً وليس شيئاً آخر. وهذا يعنى أنه إذا أصابت الإنسان المؤمن ضيقة، سواء بقولٍ أو بفعلٍ أو حتى بالفكر، فإنه لا يستطيع أن يحمل ثمرة أخرى سوى حلاوة كلمات الله. أما الإنسان الجسدانى السريع الغضب فهو بالمثل يثمر مرارة غير نافعة.

وأقول لكم إننى أخاف لئلا أسقط من نعمة الله حينما تجوز نفسى نار الاختبار لكى أثبت فى معركتنا تجاه العدو كقول الكتاب: "اليوم كله محارباً يضايقنى عدوى" (مز٥٦: ١) - فإذا كان ملائكة قد سقطوا من نعمة الله، وكذلك بعض الأنبياء والرسل - ولست أقصد يوداس فقط بل وأيضاً كثيرون من تلاميذ بولس الذين اعتزل عنهم مع تلاميذه الحقيقيين كما جاء فى سفر الأعمال (١٩: ٩) - فنحن كذلك ينبغى أن نخاف.

أتريدون أن أوضّح لكم هذا الأمر بمثال لكى نخاف الله؟ إنه يشبه جبلاً طويلاً مرتفعاً حتى السحاب، يمتد

من الشرق إلى الغرب، وهو ضيّق ومظلم عرضه حوالى أربعة أذرع وعلى جانبيه هوة لايدرك عمقها. والإنسان الذى يقبل إلى الرهبنة ويتقبل ختم الروح فى المعمودية يسير عليه نحو الشرق.

فإذا اعتبرنا ليس فقط ضيق الطريق، بل وعمق الهوة التى على جانبيه أيضاً، فإن الذى يخرق قليلاً عن مساره يهلك ولايعود يُذكر. فالهوة التى عن يسار الطريق هى الشهوات الجسدية، والتى عن يمينه هى كبرياء القلب. فإن تقدم أحد فى الطريق جيداً وبلاخوف، يصل إلى الشرق حيث يجد المخلص جالساً على عرشه تحيط به قوات الملائكة، وحيث الأكاليل الأبدية معدّة ليكلل بها كل مَن يسلك باستقامة نحوه.

١٤١ - " فإن قال أحد إن الذى يخدع أو يُسرق من واحدة من هذه (أى الشهوة أو الكبرياء) يهلك ولا تكون له توبة بعد. أقول له: إن الإنسان الذى يتوب وله ضمير صالح من جهة الإيمان بالله وبوصاياه، ويظهر غيرة صادقة فى هذا الأمر، لايتركه الرب يهلك تماماً حتى ولو كان قد اقترب من السقوط من طريقه بالإهمال والتوانى. فبخصوص هذا يقول الكتاب: " لولا قليل لزلّت قدماى " (مز ٧٣: ٢). لأن الله يظهر نعمته عليه بواسطة سياط

المرض ،أو الحزن ، أو الحزى من جراء خطيته ، حتى يدرك حالته وهو مازال وسط الطريق الضيق ، إلى أن يزول الخطر فلا يعود يخرج عن طريقه خطوة واحدة ، فالطريق عرضه أربعة أذرع فقط .

أما الذى يسقط فهو يشبه يوداس الذى حظى بنعم كثيرة من الرب وشهد عجائب عظيمة إلى حد إقامة الميت ، ومع ذلك لم يدرك نعمة الله ، لأن صندوق المال كان بحوزته ، ولهذا السبب خرج عن الطريق وهلك بالتمام لأجل محبته للمال وخيانته .

أما الأخيار ، فإن كانوا - كأناس ذوى إرادة حرة - قد يهملون ماهو نافع لهم حيناً ، إلا أنهم يطرحون عنهم الصدأ ويُطهَّرون كما تُطهَّر الفضة بواسطة النار . لهذا فداود الطوباوى يقول : « أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك » ، فإن كان هو يقول ذلك فكم بالأحرى نحن الأشقياء البائسين ؟ » .

١٤٢ - ولنتفهم أيضاً هذا الأمر النافع ، وقد سمعناه من أبينا حين كان يفسر لنا الأسفار المقدسة : إن الإنسان الذى يريد أن يتنقى من خطية مثل الغضب ، فمتى أُهين مالم يقل لنفسه ، هوذا اليوم قد ربحت درهماً ذهبياً ، وإذا شُتم مرة أخرى فالم يفكر بالمثل أنه قد ربح

ذهباً كثيراً ، فلن يقدر أن يضبط الغضب . لأنه إذا أهين مرة وتصرّف كما لو كان لو يستطيع أن يحتمل الإهانة فماذا تراه سيفعل إذا أُهين أو شُتم مرتين أو مرات كثيرة ؟

إن وصايا الله بالحقيقة هي ذهب نقي وحجارة كريمة ، كقول الكتاب ، وأحلى من العسل ومن قطر الشهاد (مز ١٩ : ١٠) . ولكننا لسبب ميولنا الجسدية لا نفهم أو ندرك هذا . لأنه أي إنسان عاقل قذفه آخر برغيف خبز نقي يقول له : " سأحتملك إذا قدمته لي مرة واحدة ، ولكن إن قدمته لي مرة أخرى قلعت مقلتيك " ؟ أما يكون الأولى به أن يحب الذي يقدمه له بغير هواه ؟

هذا هو حال رجال الله ، فهم لم يحتملوا مضطهديهم والمسيئين إليهم فقط ، بل وكانوا يصلّون من أجلهم حسب وصية المخلص . فهؤلاء هم الذين سيرثون غناه كالمكتوب : " ورثة الله ووارثون مع المسيح "

فما الذي فعلته أيها الإنسان لتستحق أن تكون وارثاً الله ؟ هل لأنك أُضطهِدت ؟ هل لأنك قُتلت لأجله ؟ إن كل تمجيد العالم يجزيك وحده من أجل ذلك ؛ فمن هو الإنسان الذي لا يمجد رجل الله ولا سيما شهيد المسيح ؟

ولكن ما أعظم مديح الله ؟ وما أشبه الله بإنسان يقول لنا : " تعالوا أحضِروا إليّ كل الأواني الخزفية

التى فى بيتكم وسأحطمها ، وعوضاً عنها خذوا منى آنية ذهبية مرصعة بالحجارة الكريمة " . ونحن لانفهم ، كما يقول الكتاب : " إنسان فى كرامة ولاينفهم يُقاس بالبهائم التى لاعقل لها ويماثلها " (مز ٤٨ : ١٢) .

فياليتنا نكون بنعمته ساهرين إلى النهاية " .

١٤٣ - وبعد الحديث صرف الإخوة لكى يذهب لاستقبال الأسقف أثناسيوس ، لأنه سمع أنه أقلع فى مركب إلى الصعيد . فأخذ معه آباء ورعين وإخوة ممن يجيدون التسبيح لله وانصرف .

ولحقوا بالبابا قبل أن يصل إلى هرموبوليس فلما رآه الإخوة من بعيد اتجهوا إليه . وكان على ضفتى النهر جموع لاتحصى من الشعب مع أساقفة كثيرين وكهنة ورهبان من مواضع متعددة . فما أن رآهم البابا عن بعد وتحقق مَن كانوا ، نطق بهذا القول : " مَن هؤلاء الطائرون كالسحاب ، وكالحمام مع صغارها مقبلين إلىَّ ؟ " (إش ٦٠ : ٨) .

ثم حيّاهم وهو لم يعرف بعد مَن هو أبّا تادرس لأنه لم يتقدم أولاً ليحييه ، بل كان قد رتب أن الشيوخ الوقورين يحيونه أولاً . ولمّا أحس به القديس أثناسيوس أمسك بيده وقال له : " كيف حال الإخوة ؟ "

فأجابه تادرس : " بصلواتكم المقدسة نحن يا أبي جميعاً بخير ".

ثم بدأ الإخوة بترتيل المزامير والألحان ، وكان عددهم خمسمئة . وكان الزحام شديداً للغاية حتى لم يعد يعرف الواحد مَن بجواره . وكان أبّا تادرس ممسكاً بلجام الحمار الذى كان يركبه البابا ويتقدمه مع الإخوة المرتلين بين العديد من المشاعل والمصابيح من كل ناحية .

١٤٤- وما أن رأى البابا كيف كان أبّا تادرس حاراً بالروح ولا يوفر جهداً فى إفساح الطريق وسط الزحام بكل اقتدار ومجاس زائد مع أن المشاعل كادت تحرقه ، لم يسعه إلّا أن يقول للأساقفة : " تأملوا إلى رئيس هذه الجماعة الكبيرة من الإخوة ، كيف يتعب مجاهداً ليتقدمنا فى الطريق ؟ نحن لسنا آباء ! فهؤلاء هم الآباء بالحقيقة إذ هم متواضعون وخاضعون لله . إنهم لمغبوطون ومباركون أولئك الذين يحملون صليب الرب دائماً ، وقد صارت لهم المهانة والأتعاب مجداً والآلام راحتهم ، حتى يأخذوا الإكليل ".

وبعد أن أمضى القديس أثناسيوس أياماً قليلة فى مدينتى أنتينوبوليس وهرموبوليس ونفعهم بالأقوال الإلهية ، توجه إلى الأديرة ، فلما رأى فرح ومجّد

الرب . وبعد أن تجول فى الدير وزار مكان الاجتماعات وقاعة الطعام ، وشاهد قلالى كل بيت ، حتى مواضع قضاء الحاجة ، وتعجب من كل شئ وقال : " يا تادرس لقد عملتم عملاً عظيماً من أجل إراحة النفوس . وقد سمعت قوانين رهبانكم وكلها جيدة جداً " .

أجابه تادرس : " إن نعمة الله كائنة بيننا بفضل أبينا ، ولكننا برؤيتنا لكم نكون كأننا قد رأينا المسيح "

وبعد ما أمضى هناك بضعة أيام قال لأبّا تادرس : " إن الفصح قد قرب ، فتعهّد أنت الإخوة كترتيبكم ، أما أنا فأعمل كما يرشدنى الله . ثم كتب رسالة إلى أبّا أورسيسيوس والإخوة ، وبعد أن قبّل تادرس وودّعه سلّمه إياها ليحملها إليه . وكان هذا مضمون الرسالة : " قد أبصرت تادرس رفيقك فى الخدمة وأب الإخوة ، ورأيت فيه رب أبيكم باخوميوس . لكما وقد سررت حقاً عند مشاهدتى أولاد الكنيسة وأبهجونى بحضورهم الرب يجزل ثوابهم . وقبل أن ينصرف تادرس إليكم قال لى : " أذكرنى " ، فقلت له : " إن نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى ، إن لم أذكرك يلتصق لسانى بحنكى " .

وترك أبّا تادرس المركب مع الإخوة تحت تصرف البابا وأوصاهم قائلاً : " امضوا معه إلى حيثما أراد

لأنه له سلطان حتى على أجسادكم ".

١٤٥- وكان الأب تادرس يعزّي أبينا أورسيسيوس من جهة الضيقة التي كانت قد ألمّت به. ثم ابتدأ يقنعه بالهرب لكي يأتي إلى دير فابو، وكأنما ليفتقد الإخوة، إذ أنه كان مقيماً في مونخوسين. ونجحت مساعي تادرس في إعادته للدير. ودبّر أن يسبقه، وجعل الأخ المسئول عن الجرس في ذلك الاسبوع يدقّه، وهكذا استقبلوه وحيّوه.

ولمّا حان وقت العظة تكلم أورسيسيوس في وسطهم كما كانت العادة. وكان تادرس واقفاً يستمع إليه مثل تابع له. وبعد ذلك لم يشأ أن يفترق عنه تادرس لسبب المحبة المتبادلة بينهما، فقد كانا كلاهما مثل رجل واحد. وكان الجميع يتعجبون من صلاحهما المملوء حياة، متعلمين من الرب أن يكونوا واحداً. وكان تادرس ثانياً له يسأله في كل الأمور. وكان أبّا أورسيسيوس يذهب ليزور الأديرة مرة، وأبّا تادرس مرة أخرى. ولم يتأخر قط متعللاً بمسئوليته.

١٤٦- ولمّا كانت الأديرة - كما سبق أن قلنا - قد ابتدأت تتسع في تملُّك الحقول الكثيرة والمراكب المتعددة، حيث كان كل دير يقوم ببنائها، زاد انشغال (الرهبان) وتثقّلوا

تحت عبء المسئوليات الثقيلة . أما فى أيام أبّا باخوميوس فكانوا قليلين ، وكانوا يحرصون ألا يثقلوا بثقل ممتلكات العالم المادية ؛ لأن نير الرب هيّن ».

ولمّا لاحظ أبّا تادرس أن كثيرين منهم بدأوا يغيّرون أسلوب الحياة القديم ، استسلم للبكاء من أجلهم. وكان يصوم يومين يومين ويبكى ساهراً مصلياً . وكان يلبس بالليل قميصاً من شعر تحت ردائه . ورآه الإخوة مرات كثيرة وتحققوا كيف كان حاله .

ودفعات كثيرة كان يمضى بهدوء إلى الجبل ليلاً لكى يصلى فى موضع مقابر الإخوة ، وكان يبعد حوالى ثلاثة أميال . وحدث فى إحدى الليالى أن تتبعه أحدهم ورآه من بعيد واقفاً عند قبر أبينا باخوميوس مصلياً . فلما سمع صلاته اعترته رعدة إذ سمعه يقول :

« يارب إله عبدك باخوميوس الذى أقف الآن أمام قبره ، تعطّف بأن يفتقدنى إن كان ذلك حسب مشيئتك . إهمالنا قد زاد ولم نعد نهتم بما هو صالح . ومع ذلك فلا تترك عبيدك يارب . وإن كنا قد تركنا أنفسنا للتوانى أنهضنا ، وإن احتقرناك اغرس خوفك فينا وذكّرنا بالعذابات الأبدية . امنحنا أن نسير فى طريقك القويم لأننا صنعة يديك يارب ، وأنت لم تشفق على ابنك الوحيد بل أسلمته من أجلنا جميعاً لكى

نخلص ». وقضى وقتاً طويلاً جداً وهو يصلّى هكذا ثم نزل من الجبل .

١٤٧- وكان قبله شاب من المدينة يدعى « هيرون » وهو مساعد لأبّا تادرس المدفن . وكانوا يتوقعون انتقاله خلال البصخة . وفى يوم السبت بينما كان الإخوة فى مكان الاجتماعات كان هو فى نزع الموت . وما أن خرج أبونا تادرس من الاجتماع حتى وجده على وشك تسليم روحه . فتكلّم معه ثم أغلق عينيه . ثم قال للإخوة : « إن رقاد هذا الأخ كان علامة أن شخصاً آخر لو يتوقعونه سوف ينتقل ». ولبث الإخوة ساهرين يقرأون حول الجسد . وفى صباح أحد الفرح كفّنوه ودفنوه وسط ترتيل الإخوة .

١٤٨- وبعد أيام قليلة مرض تادرس ، وكان ذلك بعد أن شيّع الإخوة الذين كانوا قد أتوا من الأديرة لحضور البصخة ، وقد عزّاهم كثيراً إذ كان يتكلم معهم بحماس شديد عن الأمور النافعة ، عالماً أنه منتقل من هذا العالم .

وفى مرضه اجتمع حوله أبّا أورسيسيوس مع المدبرين والإخوة . ولما تحقق أن تادرس قارب الرحيل ، دعا الإخوة إلى الاجتماع وسألهم أن يصلّوا إلى الرب حتى ينقذه .

أما هو فوقع على وجهه وبكى بحزن شديد مع جميع الإخوة وقال: "يارب أتأخذ ذاك الذى يمنح العزاء لنا جميعاً، ولمن تتركنا؟ خذنى أنا واتركه، فهو يقدر أن يدبّر الإخوة ويقوّمهم".

ومضت ثلاثة أيام على هذه الحال ثم دنت وفاته، فقال لأبّا أورسيسيوس والواقفين حوله: "ألعلى قد أحزنت أحداً منكم سواء بكلامى أو أوامرى؟" فما أمكنهم الاجابة من شدة البكاء. فعاد تادرس يقول: "لا أعلم إن كنتُ قد أحزنتك أو أحد الإخوة فى شئ؛ إننى على قدر استطاعتى لم أهمل قط خلاص نفسى ونفوس الإخوة، وذلك ليس منى، بل من الله الرحوم. انظروا إن الذى يشهد لى هو فى السماء، وشفيعى فى الأعالى".

وأسلم روحه وهو يردد هذه العبارة فى الثانى من شهر بشنس.

١٤٩- ولم يستطع الإخوة أن يضبطوا نفوسهم فزاد بكاؤهم وعلا صراخهم حتى كان يسمع من الضفة الأخرى للنهر. وظلّوا ساهرين، وبعد أن كفّنوا الجسد حملوه إلى الجبل وهم يرتلون المزامير ويدفنوه. وبعد نزولهم من الجبل عاد شيخ يدعى "نافوسيس" وهو ثانى (رئيس) دير بيافو، ومضى إلى الجبل مع آخرين حيث نقلوا

الجسد ودفنوه قرب قبر أبّا باخوميوس .

ومكث الإخوة أياماً كثيرة في حزن شديد . وكانوا يقولون : « لقد سبّبنا له حزناً شديداً حتى توسل إلى الرب أن يأخذه ؛ فانظروا هوذا قد مضى وتركنا وحدنا » . وكانوا في حزن عميق وهم يتذكرون حلاوة محبته نحو الكل ، وكيف كان ثابتاً في مخافة الله ، إذ أنه قضى زمانه كله يخدم الرب بكل قلبه .

أما الأب أورسيسيوس فعاد إلى لهقسه وساس الإخوة حسب استطاعته . وكان خيّراً وديعاً للغاية ، محباً لخلاص نفوس الإخوة . وكان الرب يقوّيه ويوضح له معاني الأسفار الإلهية ، وهكذا تعهد الإخوة في سلام زماناً طويلاً .

١٥٠ - ولما سمع المغبوط أثناسيوس رئيس الأساقفة خبر نياحة أبينا تادرس حزن جداً . وأرسل إلى أبّا أورسيسيوس والإخوة الرسالة التالية ليعزّيهم :

« من أثناسيوس إلى أبّا أورسيسيوس أبي الرهبان وإلى جميع الإخوة الذين يعيشون معه حياة التوحّد ، المتأسسين في إيمان الله ، الإخوة الأعزاء المحبوبين سلام في الرب .

قد علمت بنياحة الطوباوي تادرس وتأثرت كثيراً

عند سماعي بهذا الخبر المحزن عالماً كم كان نافعاً لكم. ولو كان الأمر يخص إنساناً آخر غير تادرس لكنت سطرت لكم رسالة ممتزجة بالدموع معتبراً ما قد يتبع موته. ولكن لأنه هو تادرس الذي أنتم وأنا قد عرفناه، فما الذي أكتبه سوى هذا: إن تادرس لمغبوط، لأنه لم يسلك في طريق الأشرار، بل وسيظل دائماً مغبوطاً ومتقياً للرب.

لذلك فنحن الآن نطوّبه بيقين، عالمين حقاً أنه قد وصل إلى الميناء حيث الحياة الخالية من كل الهموم. ياليت هذا يكون نصيب كل واحد منا. آه ليت كل واحد يركض هكذا ليدرك مثل هذا الهدف. وليت كل واحد يرسي سفينته في ذلك الميناء الهادئ الذي خلا من عواصف الشتاء، حيث نجد الراحة مع الآباء، ونقول معهم: "ها هنا أسكن لأنني اخترته".

فلذلك أيها الإخوة الأعزاء المحبوبون لا تحزنوا من أجل تادرس فهو لم يمت؛ إنه نائم! فلا يجب أن يذرف أحدٌ الدموع عندما يتذكره، بل بالأحرى أن يقتدي بسيرته. ولا يليق بنا أن نحزن على من قد وصل إلى ذلك الموضع الذي خلا من كل حزن.

إنني أكتب هذه الكلمات إليكم جميعاً، وإليك أنت بوجه خاص أيها العزيز المحبوب أورسيسيوس، لكي بعد ذهاب تادرس تحمل أنت كل مسئوليته وتأخذ مكانه

بين الإخوة . إذ أنه عندما كان حياً كنتما معاً مثل واحد حتى إذا غاب أحدكما تكمل واجبات الاثنين كما هى. وعندما كنتما موجودين معاً كنتما كواحد تتحدثان إلى الإخوة الأحباء بما هو نافع لهم ، فاعمل كما أقول لك ، وإذا فعلتَ ذلك أكتب إلىَّ وعرّفنى عن سلامتك وسلام الإخوة .

واطلبوا جميعكم من الرب بالأكثر أن يمنح كنائسه نعمة السلام الدائم ، لأننا فى الوقت الحاضر قد احتفلنا بالبصخة والخماسين فى هدوء ومسرة ؛ وفى ابتهاجنا بإحسانات الرب كتبت إليكم هذه الرسالة .

سلّموا على كل خائفى الرب . يسلّم عليكم الذين معى . أسأل الرب أن يحفظكم يا إخوتى الأعزاء المحبوبين *.

انتهت سيرة القديس أنبا باخوميوس
وتلميذه تادرس
بركة صلواتهما تكون معنا
آمين

+ + +

+ +

+

١	بدء انتشار الرهبنة .	١
٢	سيرة أنبا أنطونيوس وأمون .	٢
٣	طفولة باخوميوس . رفضه للأوثان .	٣
٤	أخذه فى الجيش . معاملة أهل إسنا الطيّبة لهم تؤثر فى قلبه .	٤
٥	تعهد لله . صلاته . عماده . الرؤيا .	٥
٦	ذهابه إلى بلامون .	٦
٧	تنسّك القديس بلامون ليلة العيد .	٨
٨	قصة الأخ المتعجرن الذى يتلو الصلاة الربانية وهو واقف على النار .	٨
٩	ازدياد حرص باخوميوس .	١٠
١٠	مصادر معلومات السيرة .	١٠
١١	جهاد القديس باخوميوس وصلواته .	١١
١٢	رؤيتى فى لمبانيسين .	١١
١٣	مرض القديس بلامون .	١٢
١٤	ترهب يوحنا شقيق باخوميوس .	١٣
١٥	توسيع الدير . جهاد القديس باخوميوس من أجل غلبة الأوجاع .	١٤
١٦	جهاده فى الصلاة ليلاً .	١٥

١٧	تجارب القديس . مقدمة .	١٦
١٨	حفظ القلب . ظهور الشياطين له .	١٧
١٩	بعض حروب الشياطين الأخرى .	١٨
٢٠	الراهب هيراكوبولون يفتقده ويعزّيه .	١٩
٢١	إيمانه بالله .	٢٠
٢٢	سهره ليالٍ كثيرة من أجل غلبة العدو .	٢٠
٢٣	ملاك يظهر له ويعرّفه إرادة الله .	٢١
٢٤	بدء قبول الإخوة الجدد . خدمته لهم . وقيامه بنفسه بجميع أعمال الدير .	٢١
٢٥	تلاميذه الأوائل .	٢٢
٢٦	الرب يدعو كثيرين إليه .	٢٤
٢٧	فصل الكهنوت عن الرهبنة .	٢٤
٢٨	عظمته واهتمامه بالنفوس . أنظمة الدير .	٢٦
٢٩	اهتمامه بخلاص نفوس العلمانيين المجاورين للدير.	٢٨
٣٠	زيارة البابا أثناسيوس للصعيد .	٢٩
٣١	رأى القديس في أورجانوس .	٢٩
٣٢	رهبنة مريم أخت القديس . مأساة دير النساء .	٣١
٣٣	سيرة تادرس تلميذه .	٣٤
٣٤	سماع تادرس عن تعاليم باخوميوس .	٣٥
٣٥	انتقال تادرس إلى دير باخوميوس .	٣٧

٣٦	رهبنة تادرس . جهاده ،	٣٧
٣٧	والدة تادرس تسعى لرؤيته .	٣٨
٣٨	انصراف الإخوة المنحرفين .	٣٩
٣٩	احتياج الدير للخبز .	٤٠
٤٠	عزل الرهبان الزوار عن الإخوة .	٤١
٤١	شفاء المرأة النازفة الدم .	٤٢
٤٢	راهب يطلب رتبة بلا استحقاق .	٤٢
٤٢	شفاء ابنة بها مس شيطان .	٤٤
٤٤	شفاء ابن به شيطان .	٤٥
٤٥	خلاص نفوس كثيرين على يدى القديس .	٤٦
٤٦	بخصوص مصادر السيرة .	٤٦
٤٧	رأيه فى الآيات والمعجزات الحقيقية .	٤٧
٤٨	ورأيه فى المناظر الروحية .	٤٧
٤٩	العناية بنفوس الصغار .	٤٩
٥٠	طاعة تادرس العجيبة .	٥٠
٥١	تنسّك القديس حتى فى مرضه ،	٥١
٥٢	احتماله المرض . رأيه فى الأمراض .	٥١
٥٣	اهتمامه بالرهبان المرضى .	٥٢
٥٤	بناء دير بافو وأديرة أخرى .	٥٣
٥٥	تنسك القديس . الزهد فى الأكل . خصة .	٥٥
٥٦	تعاليمه للإخوة . تفاسيره .	٥٦

٥٧ القيامة الروحية . تعاليم أخرى . ٥٧
٥٨ هذيد الإخوة الدائم فى أقوال الكتاب . ٥٨
٥٩ أنظمة الشركة . ٥٩
٦٠ سهر الليل فوق المركب مع أخين . ٦٠
٦١ تكملة الفصل السابق ، مع كورنيليوس . ٦١
٦٢ مروره بالمقابر . البكاء . ٦٢
٦٣ حسن هذا العالم الباطل . ٦٣
٦٤ القديس يفسد الطعام الجيد فى مرضه . ٦٣
٦٥ رهبنة بفنوتيوس شقيق تادرس . ٦٣
٦٦ تصرف تادرس مع أخ أراد ترك الدير ٦٤
٦٧ إرسال تادرس مع أخ لزيارة أهله . ٦٥
٦٨ تصرفه مع أخ اعتاد زيارة أهله . ٦٥
٦٩ أخ ناسك ولكن ليس بحسب الله . ٦٦
٧٠ قصة الحب . شيخ يتشكك فى باخوميوس ٦٨
٧١ رؤيا يراها القديس أثناء قطع البردى . ٦٩
٧٢ الشيطان يغير كلام القديس . ٧٠
٧٣ أصناف الأرواح الخبيثة التى تحارب الرهبان ٧١
٧٤ القديس يحس بروحه بتوانى أحد الإخوة . ٧١
٧٥ ويحذر من إعطاء الشيطان مكاناً فى أنفسنا . ٧٢
٧٦ تعليمه عن العفة - قصة . ٧٣
٧٧ تادرس يعظ الرهبان . ٧٤

٧٨	تادرس يُعيّن أقنوماً على دير طبابنيسين .	٧٥
٧٩	جزء من سيرة الرهبان القدامى الفاضلة .	٧٦
٨٠	الأب بطرونيوس . سيرته .	٧٧
٨١	بناء دير في بانوس .	٧٧
٨٢	فلاسفة بانوس يختبرون الرهبان .	٧٨
٨٣	تسلُّم القديس أديرة أخرى .	٨٠
٨٤	الأب تيتويس المجاهد . سيرته .	٨١
٨٥	الأخ الذى اشتهى الاستشهاد .	٨١
٨٦	القديس يقبل بتواضع توجيهات أخ مبتدئ .	٨٢
٨٧	الشيطان يظهر برؤيا للقديس .	٨٣
٨٨	زلزال ورؤيا فى الكنيسة .	٨٣
٨٩	الصمت أثناء العمل . فى المخبز .	٨٥
٩٠	تادرس يستفسر عن ألم برأسه .	٨٦
٩١	تادرس يفتقد الأديرة .	
	شخصية باخوميوس وجهاده .	٨٦
٩٢	تادرس يحقق فى تهمة سرقة .	٨٧
٩٣	القديس باخوميوس وتادرس يسمعان	
	أصوات ملائكة تزف نفساً إلى السماء .	٨٨
٩٤	رهبنة تادرس الإسكندرانى .	٨٩
٩٥	تقدمه فى المعرفة . رعايته للنفوس	٩٠
٩٦	تعليم باخوميوس بخصوص حراسة النفس	٩١

٩٧ سـارق التين . ٩٣
٩٨ كيف كُتبت هـذه السـيرة ؟ ٩٤
٩٩ تابع كتابة السـيرة . ٩٥
١٠٠ تذلل القديس أمام الله من أجل خلاص
الإخوة الذين تشككوا فيه . ٩٧
١٠١ أخ تلسعه عقرب ولا يقطع صلاته . ٩٧
١٠٢ رؤيا الموضع المظلم والنور . ٩٨
١٠٣ باخوميوس يأمر بحرق ملابس أخ مات . ٩٩
١٠٤ الأخ سلوانس الذى كان مغنياً . ٩٩
١٠٥ تابع سـيرة سلوانس . ١٠٠
١٠٦ تجربة تادرس . فكر الرئاسة . ١٠٢
١٠٧ توبة تادرس . الشيطان ومَثل الموجونة ١٠٣
١٠٨ تفسير المثل ١٠٥
١٠٩ خدمة تادرس مع الأب زكاوس على المركب . ١٠٦
١١٠ تواضع القديس وسلوكه بين الرهبان كواحد منهم ١٠٧
١١١ سؤال بخصوص ضبط الفكر ١٠٧
١١٢ مؤامرة لقتل القديس . وبخصوص موهبة
المناظر ورؤية النفوس . ١٠٨
١١٣ عودة زكاوس من الإسكندرية . أخبار الكنيسة. ١١١
١١٤ مرض أبّا باخوميوس الأخير . ١١٢
١١٥ زهده حتى فى مرضه الأخير . ١١٣

١١٦ وصيته لتادرس . نياحته . ١١٣
١١٧ تعيين بطرونيوس . ثم نياحته . ١١٤
١١٨ تعاليم أبا أورسيسيوس . مَثل المصباح ١١٥
١١٩ غيرته وفضيلته . ١١٦
١٢٠ زيارة الإخوة لأبّا أنطونيوس . ١١٧
١٢١ انتداب تادرس لرعاية الخبازين . ١١٩
١٢٢ رعاية أورسيسيوس للإخوة . ١٢٠
١٢٣ تشجيع الشيوخ للقديس وللإخوة . ١٢٠
١٢٤ انتقال أبّا بفنوتيوس شقيق تادرس . ١٢١
١٢٥ اتضاع تادرس وطاعته لأبا أورسيسيوس . ١٢١
١٢٦ تعليم أبا أورسيسيوس عن محبة الرئاسة . ١٢٢
١٢٧ تزايد عدد الإخوة . التوسع فى المقتنيات . ١٢٣
١٢٨ حزن أبّا أورسيسيوس . صلاته . ١٢٤
١٢٩ حُلم أورسيسيوس . تعيين تادرس مساعداً له ١٢٥
١٣٠ رفض تادرس . أورسيسيوس يقنعه ،
سلوكه واتضاعه للأب أورسيسيوس . ١٢٦
١٣١ عظه تادرس . تذكار الأيام السالفة . ١٢٧
١٣٢ سهره . حرصه على خلاص النفوس . ١٢٩
١٣٣ صلواته من أجل العلمانيين المرضى . ١٣٠
١٣٤ تأسيس أديرة جديدة . ١٣١
١٣٥ تعليمه بخصوص المناظر والرؤى . ١٣١

١٣٦ ترديده لشهادة باخوميوس عن البابا أثناسيوس وأبنا أنطونيوس ونظام الشركة . ١٣٣
١٣٧ أرتيميوس القائد يبحث عن البابا للقبض عليه . ١٣٤
١٣٨ تفتيش دير بافو . صلاته إيمان الإخوة ، رفضهم الصلاة مع أسقف أريوسى . ١٣٥
١٣٩ إيمان تادرس بخصوص موت الإخوة أثناء الفيضان . ١٣٦
١٤٠ تعليم تادرس بخصوص الغضب ١٣٧
١٤١ مَثَل التوبة . تفسير مَثَل الطريق الضيق . ١٣٨
١٤٢ علاج الغضب . نعمة الله . ١٣٩
١٤٣ استقبال البابا أثناسيوس . ١٤١
١٤٤ كلام البابا للأساقفة عن اتضاع تادرس . زيارته لأديرة أشمون . شهادته للشركة . رسالة لأورسيسيوس . ١٤٢
١٤٥ تادرس يقنع أورسيسيوس بالعودة إلى بافو . ١٤٤
١٤٦ زيارة مشاغل الإخوة بسبب الاتساع ، حزن تادرس . صلاته عند قبر باخوميوس ١٤٤
١٤٧ نياحة الأخ هيرون . ١٤٦
١٤٨ مرض تادرس . حزن الإخوة . نياحته ١٤٦

١٤٩ حزن الإخوة الزائد . تذكّرهم لسيرته ،
عودة أورسيسيوس . رعايته للنفوس ١٤٧
١٥٠ رسالة تعزية من البابا أثناسيوس ١٤٩

+ + +
+ +
+